فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الأنور ١٣٣٢ هـ ق ٥ الشتاء الثالث ١٢٩٢ هـ ش ٢٥ فبراير ١٩١٤

تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يفسر بها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٣٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٠) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ

ذكر الرازي ان وجه الاتصال والتناسب بين هذه الآيات وما قبلها يرجع الى سياق الكلام على أهل الكتاب لأن ما بعده جاء على سبيل الاستطراد ، وقد جاء في ذلك السياق ان اليهود قد هموا يبسط أيديهم الى الرسول و بعض المؤمنين

بالسوء وقصد الاغتيال ، لما كانوا عليه من العتو على الانبياء وشدة الايذاء لهم ، وأنهم كانوا هم والنصارى مغرورين بدينهم ، يزعمون أنهم ابناء الله واحباؤه ، فأرشد الله المؤمنين الى الحق وأمرهم أن يتقوه ويبتغوا اليه وحده الوسيلة بالعمل الصالح ، ولا يكونوا كأهل الكتاب في افتتانهم وغرورهم . هذا معنى ما قاله . والوجه في التناسب عندي ان يبنى على اسلوب القرآن ، الذي امتاز به على سائر الكلام ، من حيث كونه مثاني الهداية ، والموعظة والعبرة ، لا تبلى جدته ، ولا تمل قراءته ، والركن الاول لهذا الاسلوب ان يكون الكلام في كل موضوع مختصرا مفيدا تتخلله اسماء الله وصفاته والتذكير بوحدانيته ، ووجوب تقواه والاخلاص له والتوجه اليه وحده ، وبالدار الآخرة والجزاء فيها على الاعمال . فبناء على هذا الاسلوب قفى الله تعالى على قصة ابني آدم وما ناسبها من بيان حدود الذين يبغون على الناس ويفسدون في الارض ، – بالامر بالتقوى أي اتقاء الحسد والبغي والفساد الذي هو سبب الخزي والعذاب في الدنيا والآخرة – وبابتغاء الوسيلة اليه تعالى والجهاد في سبيله رجاء الفلاح والفوز بالسعادة . وبتوعد الكفار الذين لا يتقون الله ولا يتوسلون اليه بما يرضيه ، فقال

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ﴾ اتقاء الله هو اتقاء سخطه وعقابه ، وسخطه وعقابه أثر لازم لمخالفة سننه في الانفس والآفاق ، ولمخالفة دينه وشرعه الذي يعرج بالأرواح الى سماء الكمال . والوسيلة اليه هي ما يتوسل به اي ما يرجى أن يتوصل به الى مرضاته والقرب منه ، واستحقاق المثوبة في دار كرامته . ولا يعرف ذلك على الوجه الصحيح الا بتعريفه تعالى ، وقد تفضل علينا بهذا التعريف بوحيه الى رسوله (ص) قال الراغب : الوسيلة التوصل الى الشيء برغبة ، وهي أخص من الوصيلة ، لتضمنها معنى الرغبة ... وحقيقة الوسيلة الى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة ، وهي كالقربة . اه وروي تفسير الوسيلة بالقربة عن حذيفة وصححه الحاكم عنه . ورواه ابن جرير عن عطاء ومجاهد والحسن وعبد الله ابن كثير . وروى هو وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في الآية انه قال : تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه . وروى عن ابن زيد تفسيرها بالمحبة قال : أي تحببوا الى الله ، وقرأ (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) وعن السدي انها المسألة

والقربة . وروى ابن الانباري ان نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الوسيلة فقال الحاجة . قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم اما سمعت عنترة وهو يقول :

ان الرجال لهم اليك وسيلة　　أن يأخذوك تكحلي وتخضبي

ولم يرو ابن جرير هذا ، واستدل بالبيت على تفسير الوسيلة بالقربة . وارادة القربة من البيت أظهر من ارادة الحاجة . على انه لاينافيه، كما لاينافيه تفسيرها بالمحبة . فان طلب الحاجة من الله ومحبة الله مما يتقرب به اليه . وتفسير الوسيلة بما فسرناها به أعم، وهو المطابق للغة . قال في لسان العرب: الوسيلة في الاصل ما يتوصل به الى الشيء ويتقرب به اليه، وذلك بعد ان فسر الوسيلة بالمنزلة عند الملك وبالقربة . وقال : ووسل فلان الى الله وسيلة، اذا عمل عملا تقرب به اليه، والواسل الراغب، قال لبيد:

أرى الناس لايدرون ما قدر أمرهم　　بلى كل ذي رأي الى الله واسل

ثم ذكر من معانيها الوصلة والقربى . وانما يؤخذ عن أهل اللغة أصل المعنى ويرجح به بعض التفسير المأثور [illegible] والوسيلة في الحديث غير معناها هنا

روى أحمد والبخاري وأصحاب السنن الاربعة من حديث جابر ان النبي (ص) قال « من قال حين يسمع النداء (أي الأذان) : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا (١) الذي وعدته : الا حلت له شفاعتي يوم القيامة » وروى احمد ومسلم وأصحاب السنن الا ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر انه سمع النبي (ص) يقول « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول، ثم صلوا عليّ ، فانه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لاتنبغي الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » وتفسير النبي (ص) الوسيلة يؤيده قول نقلة اللغة ان من معانيها المنزلة عند الملك . فيظهر ان هذه الوسيلة الخاصة هي أعلى منازل الجنة . فمن دعا الله تعالى أن يجعلها للنبي (ص) كافأه النبي (ص) بالشفاعة وهي دعاء أيضا . والجزاء من جنس العمل . فالوسيلة في الحديث اسم المنزلة في

(١) منصوب على الظرفية أي أقمه مقاما محمودا، وقيل ضمن ابعثه معنى أعطه، ولعل الحكمة في التنكير موافقة لفظ الآية . ورواه النسائي وابن حبان وغيرهما بالتعريف

الجنة معينة ، وفي القرآن اسم لكل ما يتوصل به الى مرضاة الله من علم وعمل

(وجاهدوا في سبيله) أي جاهدوا أنفسكم بكفها عن الاهواء ، وحملها على التزام الحق في جميع الاحوال ، وجاهدوا أعداء الاسلام ، الذين يقاومون دعوته وهدايته للناس . فالجهاد من الجهد وهو المشقة والتعب ، وسبيل الله هي طريق الحق والخير والفضيلة ، فكل جهد يحمله الانسان في الدفاع عن الحق والخير والفضيلة ، أو في تقريرها وحمل الناس عليها ، فهو جهاد في سبيل الله (لعلكم تفلحون) أي اتقوا ما يجب تركه ، وابتغوا ما يجب فعله ، من أسباب مرضاة الله وقربه ، واحتملوا الجهد والمشقة في سبيله ، رجاء الفوز والفلاح ، والسعادة في المعاش والمعاد .

﴿ فصل في التوسل والوسيلة عند عامة المتأخرين ﴾

بينا معنى الوسيلة في الآية وما قاله رواة التفسير المأثور عن السلف فيها . ولم يؤثر عن صحابي ولا تابعي ولا أحد من علماء السلف أو غيرهم ان الوسيلة الى الله تعالى تبتغي بغير ما شرعه الله للناس من الاعمال والحال [illegible] الا كلمة رويت عن الامام مالك لم تصح عنه بل صح عنه ما ينافيها . وقد حدث في القرون الوسطى التوسل بأشخاص الانبياء والصالحين المتقين ، أي تسميتهم وسائل الى الله تعالى ، والاقسام على الله بهم ، وطلب قضاء الحاجات ودفع الضر وجلب النفع منهم عند قبورهم أو في حال البعد عنها . وشاع هذا وكثر حتى صار كثير من الناس يدعون أصحاب القبور في حاجاتهم مع الله تعالى ، أو يدعونهم من دون الله تعالى . « والدعاء هو العبادة » كما قال النبي (ص) رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم عن النعمان بن بشير. والله تعالى يقول (فلا تدعوا مع الله أحدا) ويقول (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) ويقول (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، و يوم القيامة يكفرون بشرككم - ولا ينبئك مثل خبير) ولكن بعض المصنفين زعم أنهم يسمعونه و يستجيبون للداعي - والناس يأخذون بمثل هذا القول المخالف لقول الله تعالى لعموم الجهل ، ومن المشتغلين بالعلم من يتأول لهم بأن هذا من التوسل

بهم . وقد حقق شيخ الاسلام احمد بن تيمية الموضوع بجميع فروعه ، فكان ما كتبه في ذلك مصنفا حافلا سمي (التوسل والوسيلة) وقد طبعناه مرتين . ومما جاء فيه قوله - بعد بيان معنى الوسيلة في القرآن والحديث بنحو ما تقدم:

« وأما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته . والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الاقسام به والسؤال به كما يقسمون بغيره من الانبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح

« وحينئذ فلفظ التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنة » فاما المعنيان الاولان الصحيحان باتفاق العلماء فاحدهما هو أصل الايمان والاسلام وهو التوسل بالايمان به و بطاعته، والثاني دعاؤه وشفاعته كما تقدم. فهذان جائزان باجماع المسلمين. ومن هذا قول عمر بن الخطاب : اللهم انا كنا اذا اجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا . أي بدعائه وشفاعته » وقوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) أي القربة اليه بطاعته: وطاعة رسوله طاعته ، قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فهذا التوسل الاول هو أصل الدين. وهذا لا ينكره أحد من المسلمين، وأما التوسل بدعائه وشفاعته كما قال عمر، فانه توسل بدعائه لا بذاته ، ولهذا عدلوا عن التوسل به الى التوسل بعمه العباس، ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به الى التوسل بالعباس، علم ان ما يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الايمان به والطاعة له فانه مشروع دائما

« فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان (احدها) التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الايمان الا به (والثاني) التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته ، و يكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته (والثالث) التوسل به بمعنى الاقسام على الله بذاته. فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الادعية المشهورة بينهم » وانما ينقل شيء من ذلك في احاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة ، أو عن من ليس قوله حجة ، كما سنذكر ذلك ان شاء تعالى .

«وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه انه لايجوز، ونهوا عنه حيث قالوا: لايسئل بمخلوق، ولايقول أحد: أسألك بحق انبيائك. قال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة. وقد ذكر هذا غير واحد من اصحاب أبي حنيفة» قال بشر بن الوليد: حدثنا ابو يوسف قال قال أبو حنيفة: لاينبغي لأحدان يدعوالله الا به، وأكره(١) ان يقول بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك. وهو قول أبي يوسف قال ابو يوسف: بمعقد العز من عرشه، هو الله فلا اكره هذا، واكره ان يقول بحق فلان، أو بحق انبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام. قال القدوري: المسئلة بحقه لايجوز، لانه لاحق للخلق على الخالق فلايجوز وفاقا »

« وهذا الذي قاله ابو حنيفة واصحابه من ان الله لايسئل بمخلوق له معنيان (احدهما) هو موافق لسائر الائمة الذين يمنعون أن يقسم احد بالمخلوق، فانه اذا منع ان يقسم على مخلوق بمخلوق فلأن يمنع أن يقسم على الخالق بمخلوق اولى واحرى. وهذا بخلاف اقسامه سبحانه بمخلوقاته كالليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى، والشمس وضحاها، والنازعات غرقا، والصافات صفا. فان اقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر آياته الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته مايحسن معه اقسامه، بخلاف المخلوق فان إقسامه بالمخلوقات شرك بخالقها كما في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «من حلف بغير الله فقد اشرك» وقد صححه الترمذي وغيره، وفي لفظ «فقد كفر» وقدصححه الحاكم. وقد ثبت عنه في الصحيحين انه قال «من كان حالفا فليحلف بالله» وقال «لاتحلفوا بآبائكم فان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم» وفي الصحيحين عنه انه قال «من حلف باللات والعزى فليقل لااله الا الله» وقداتفق المسلمون على انه من حلف بالمخلوقات المحترمة أو بما يعتقد هو حرمته كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة والصالحين وإيمان السدق وسراويل الفتوة وغير ذلك لاينعقد يمينه ولاكفارة في الحلف بذلك

(١) اذا اطلقت الكراهة عندهم يراد بها كراهة التحريم

«والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور . وهو مذهب ابي حنيفة ، واحد القولين في مذهب الشافعي واحمد . وقد حكي اجماع الصحابة على ذلك . وقيل هي مكروهة كراهة تنزيه - والاول اصح - حتى قال عبد الله ابن مسعود وعبد الله ابن عباس وعبدالله ابن عمر : لأن احلف بالله كاذبا احب اليَّ من أن احلف بغير الله صادقا : وذلك لأن الحلف بغير الله شرك، والشرك أعظم من الكذب . وانما نعرف النزاع في الحلف بالانبياء، فمن أحمد في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتان (احداهما) لاينعقد اليمين به كقول الجمهور مالك وأبي حنيفة والشافعي (والثانية) ينعقد اليمين به ، واختار ذلك طائفة من أصحابه كالقاضي وأتباعه . وابن المنذر وافق هؤلاء . وقصر أكثر هؤلاء النزاع في ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وعدى ابن عقيل هذا الحكم الى سائر الانبياء . وايجاب الكفارة بالحلف بمخلوق وان كان نبيا قول ضعيف في الغاية، مخالف للاصول والنصوص ؛ فالاقسام به على الله - والسؤال به بمعنى الاقسام - هو من هذا الجنس »

«والذي قاله أبو حنيفة وأصحابه وغيرهم من العلماء من أنه لايجوز أن يسئل الله تعالى بمخلوق ، لا بحق الانبياء ولا غير ذلك ، يتضمن شيئين كما تقدم (أحدهما) الاقسام على الله سبحانه وتعالى به، وهذا منهي عنه عند جماهير العلماء كما تقدم، كما ينهى ان يقسم على الله بالكعبة والمشاعر باتفاق العلماء » (والثاني) السؤال به ، فهذا يجوزه طائفة من الناس ونقل في ذلك آثار عن بعض السلف ، وهو موجود في دعاء كثير من الناس . لكن ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كله ضعيف ، بل موضوع . وليس عنه حديث ثابت قد يظن ان لهم فيه حجة الا حديث الاعمى(١) الذي علمه ان يقول : اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة »

« وحديث الاعمى لاحجة لهم فيه فانه صريح في أنه أنما توسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته، وهو طلب من النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء ، وقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول « اللهم شفعه فيَّ » ولهذا رد الله عليه بصره

(١) قد اطال الشيخ الكلام على حديث الاعمى فبين طرقه وعللها وبين ان ما سلم سنده منها يدل على ان الاعمى توسل بدعاء النبي (ص) لا بشخصه

لما دعا له النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك مما يعد من آيات النبي صلى الله عليه وسلم . ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالسؤال به لم يكن حالهم كحاله

« ودعا امير المؤمنين عمر بن الخطاب في الاستسقاء المشهور بين المهاجرين والانصار وقوله « اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا » يدل على ان التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته ، اذ لو كان هذا مشروعا لم يعدل عمر والمهاجرون والانصار عن السؤال بالرسول الى السؤال بالعباس . وساغ النزاع في السؤال بالانبياء والصالحين دون الاقسام بهم لان بين السؤال والاقسام فرقا ، فان السائل متضرع ذليل يسأل بسبب يناسب الاجابة ، والمقسم اعلا من هذا ، فانه طالب مؤكد طلبه بالقسم ، والمقسم لايقسم الا على من يرى انه يبر قسمه . فابرار القسم خاص ببعض العباد . واما اجابة السائلين فعام ، فان الله يجيب دعوة المضطر ودعوة المظلوم وان كان كافرا ، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ما من داع يدعو الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه الله بها احدى خصال ثلاث : اما ان يعجل له دعوته ، واما ان يدخر له من الخير مثلها ، واما ان يصرف عنه من الشر مثلها » قالوا يارسول الله اذا نكثر ، قال « الله اكثر » (١)

(ثم قال)

وهذا التوسل بالانبياء بمعنى السؤال بهم ـ وهو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه وغيرهم انه لايجوز ـ ليس في المعروف من مذهب مالك ما يناقض ذلك فضلا ان يجعل هذا من مسائل السب ، فمن نقل عن مذهب مالك انه جوز التوسل به بمعنى الاقسام به أو السؤال به فليس معه في ذلك نقل عن مالك وأصحابه ، فضلا عن ان يقول مالك ان هذا سب للرسول أو تنقص به ، بل المعروف عن مالك انه كره للداعي ان يقول : ياسيدي سيدي ! وقال : قل كما قالت الانبياء « يارب

(١) قد اطال الشيخ قدس الله روحه في بيان الفرق بين السؤال والقسم وذكرنا بعض كلامه في تفسير (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) من جزء التفسير الرابع (ص٣٣٤) ج٤

يارب باكريم» وكره أيضا ان يقول : ياحنان يامنان! فانه ليس بمأثور عنه» فاذا كان مالك يكره مثل هذا الدعاء اذ لم يكن مشروعا عنده فكيف يجوز عنده ان يسئل الله بمخلوق نبيا كان أو غيره ـ وهو يعلم ان الصحابة لما أجدبوا عام الرمادة لم يسألوا الله بمخلوق لا نبي ولا غيره بل قال عمر « اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا » — وكذلك ثبت في الصحيح عن ابن عمر وأنس وغيرهما انهم كانوا اذا اجدبوا انما يتوسلون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم واستسقائه، لم ينقل عن احد منهم انه كان في حياته صلى الله عليه وسلم سأل الله تعالى بمخلوق لا به ولا بغيره ، لا في الاستسقاء ولا غيره . وحديث الأعمى سنتكلم عليه ان شاء الله تعالى ، فلو كان السؤال به معروفا عند الصحابة لقالوا لعمر ان السؤال والتوسل به أولى من السؤال والتوسل بالعباس ، فلم نعدل عن الامر المشروع الذي كنا نفعله في حياته وهو التوسل بأفضل الخلق ، الى ان نتوسل ببعض أقاربه؟ وفي ذلك ترك السنة المشروعة وعدول عن الافضل، وسؤال الله تعالى بأضعف الوسيلتين مع القدرة على أعلاهما ونحن مضطرون غاية الاضطرار في عام الرمادة الذي يضرب به المثل في الجدب؟ والذي قاله عمر فعل مثله معاوية بحضرة من معه من الصحابة والتابعين فتوسلوا بيزيد بن الاسود الجرشي كما توسل عمر بالعباس

« وكذلك ذكر الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهم انه يتوسل في الاستسقاء بدعاء أهل الخير والصلاح، قالوا وإن كان من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أفضل اقتداء بعمر . ولم يقل أحد من أهل العلم انه يسأل الله تعالى في ذلك لا بنبي ولا بغير نبي

«وكذلك من نقل عن مالك أنه جوز سؤال الرسول أو غيره (١) بعد موتهم» أو نقل ذلك عن امام من أئمة المسلمين غير مالك كالشافعي وأحمد وغيرهما ، فقد كذب عليهم . ولكن بعض الجهال ينقل هذا و يستند الى حكاية مكذوبة عن

(١) في الاصل «أوغيره» ولعل الصواب أو غيرهما من الانبياء

مالك، ولو كانت صحيحة لم يكن التوسل الذي فيها هو هذا بل هو التوسل بشفاعته يوم القيامة، ولكن من الناس من يحرف نقلها ، واصلها ضعيف كما سنبينه ان شاء الله تعالى» اه المراد منه ومن أراد ان يحيط بهذه المسألة علما تفصيليا فليقرأ كتاب (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) كله ·

وأما القول الجلي الجامع فهو ان الوسيلة ما تقرب به الى الله تعالى، وترجو أن تصل به الى مرضاته، وهو ما شرعه لك لتزكية نفسك، اذ جعل مدار الفلاح على تزكيتها · والتوسل هو ابتغاء الوسيلة المأمور به هنا ، أي العمل بالمشروع لتزكية النفس ، وقد دل كتاب الله في جمله وتفصيله على ان مدار النجاة والفلاح على الايمان والعمل الصالح (وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرى ، ثم يُجزاه الجزاء الأوفى ‏• ـ يوم تجزى كل نفس بما تسعى • ـ هل تجزون الا ما كنتم تعملون) نعم دلت السنة على ان دعاء المؤمن لغيره قد ينفعه ولكن ثبت في الصحيح ان النبي (ص) دعا الله وسأله ان لا يجعل بأس أمته بينها فلم يعطه ذلك ، وثبت أيضا انه (ص) كان حريصا على ايمان عمه أبي طالب ولكن الله أنزل في ذلك (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وثبت أيضا انه لكل نبي مرسل دعوة واحدة مستجابة قطعا ، فما عداها بين الرجاء والخوف ، ولذلك خبأ (ص) دعوته ليشفع بها يوم القيامة • فتعلم بأمثال هذه الاحاديث الصحيحة التي أشرنا اليها ، والآيات التي ذكرنا بعضها ، أن دعاء غيرك لك لا يطرد نفعه مهما كان الداعي صالحا ، فهل يكون شخص غيرك وسيلة وقربة لك الى الله وان لم يدع لك ؟ هذا شيء لا يدل عليه كتاب ولا سنة ، ولا هو بالذي يدل عليه العقل ، ان جاز ان يحكم العقل في قربات الشرع . فالعمدة في تقرب الانسان الى الله وابتغاء مرضاته وحسن جزائه هو ايمانه وعمله لنفسه • فاذا أنت لم تعمل لنفسك ما شرعه الله لك وجعله سبب فلاحك، ولم يدع لك غيرك بذلك، فكيف تكون قد ابتغيت الى الله الوسيلة ؟ وهل تسميتك بعض عباد الله المكرمين وسيلة أو طلبك منه بعد موته ان يشفع لك ـ أي يدعو لك ـ يعد امتثالا منك لأمر الله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) ؟ كلا ! الطلب من الميت غير مشروع ؟ واذا فرض انه مشروع ومسموع، فلا

يمكن ان يعلم هل كان مقبولا أم غير مقبول ؟ فان ذلك من أمر الآخرة الغيبي ، « والامر يومئذ لله » وحده ، ومنه امر الشفاعة (قل لله الشفاعة جميعا ـ ـ من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ؟ ـ ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) فسنة الفطرة في الدنيا مضت بأن الانسان لا يشبع اذا أكل عنه والده أو استاذه أو أحد الصالحين ، ولا يشفى من مرضه إذا ترك الدواء وشربه غيره عنه ، ولا تؤثر في نفسه أو تظهر في أعماله أخلاق غيره ، فاذا كان النبي أو الولي الذي يتكل عليه جوادا سخيا شجاعا أمينا ، لا يبذل هو المال بذلك السخاء ، ولا النفس بتلك الشجاعة ، ولا يؤدي الحقوق الى أهلها بتلك الامانة ، لان أعماله تصدر عن أخلاقه لا عن أخلاق الرسول أو الولي الذي يتكل عليه . فان كان من سنة الفطرة في الدنيا أن لا تعيش بأخلاق غيرك وبعلمه وعمله ـ وهي دار الكسب والتعاون . فكيف ينفعك إيمان غيرك وصلاحه (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) ؟؟

(ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) هذا كلام مستأنف يؤكد مضمون ما قبله من كون مدار الفوز والفلاح في الآخرة على التقوى والتوسل اليه بالايمان والعلم الصحيح ، وتزكية النفس بالعمل الصالح والجهاد في سبيله ، وهو شأن المؤمنين الصادقين . فهو يقول ان مدار النجاة والفلاح على ما في نفس الانسان لا على ما هو خارج عنه ، كما يتوهم الكفار في امر الفدية . فلو ان للذين كفروا جميع ما في الارض ومثله معه ، و بذلوا ذلك كله دفعة واحدة ليكون فداء لهم يفتدون به من العذاب الذي يصيبهم يوم القيامة لا يتقبله الله تعالى منهم ولا ينقذهم به من العذاب ، لان سنته الحكيمة قد مضت بأن سبب الفلاح والنجاة انما يكون من نفس الانسان لا من الاشياء التي تكون خارجها (قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) ولهم عذاب شديد الألم قد استحقوه بكفرهم ، وما استتبعه من سيئات أعمالهم ، اتكالا منهم على الفدية والشفعاء . وهذا فرق جوهري واضح بين الاسلام وغيره من الاديان ، فالاسلام دين الفطرة ، وسنة الله تعالى فيها ان سعادة الانسان البدنية والنفسية في الدنيا والآخرة من نفسه لا من غيره ، فالنصارى يعتقدون ان خلاصهم

ونجاتهم وسعادتهم بكون المسيح فدية لهم يفديهم بنفسه مهما كانت حالهم ، وأكثرهم يضمون إلى المسيح الرسل والقديسين ، ويرون ان الله يحل ما يحلونه ويعقد ما يعقدونه ، وانهم شفعاء لهم عنده . وأما المسلمون فيعتقدون ان العمدة في النجاة والفلاح تزكية النفس بالايمان والفضائل والاعمال الصالحة ، فبذلك تصلح نفوسهم وتكون أهلا لرضوان الله تعالى . وان من دسّى نفسه بالشرك والفسق والفساد في الارض لا يكون أهلا لمرضاة الله ودار كرامته ، فلا يقبل منه فداء ولا تنفعه شفاعة الشافعين

﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ يريد الذين كفروا ان يخرجوا من النار دار العذاب والشقاء بعد دخولهم فيها ، وما هم بخارجين منها البتة ، كما يدل عليه تأكيد النفي بالباء . ثم أكد مضمون ذلك باثبات العذاب المقيم لهم ، والمقيم هو الثابت الذي لا يظعن . والآية استئناف بياني ، اذ من شأن من سمع الآية التي قبلها أن تستشرف نفسه للسؤال عن حال أولئك الكفار الذين لا يقبل منهم فداء [illegible]

(٤١) وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٢) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٤٣) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

المحاربون المفسدون في الارض يأكلون أموال الناس بالباطل جهرة ، وينتزعونها منهم عنوة ، واللصوص يأكلونها كذلك ولكنهم يأخذونها خفية ، فلما بين الله تعالى عقاب أولئك ، وأمر بالتقوى وابتغاء الوسيلة والجهاد في سبيل الله ـ وهي الاعمال التي يكمل بها الايمان ، وتتهذب بها النفوس حتى تنفر من الحرام ـ بين عقاب هؤلاء أيضا ، جمعا بين الوازع النفسي وهو الايمان والصلاح ، والوازع

الخارجي وهو المألوف من العقاب والنكال ، فقال عز من قائل :

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ أي والسارق والسارقة مما يتلى عليكم حكمهما ، ويبين لكم حدهما ، كما بين لكم حد المفسدين في الارض مثلهما ، فاقطعوا أيديهما ، أو التقدير : وكل من السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، كما كما تقطعون أيدي المحاربين اذا سلبا المال مثلهما . والمراد قطع يد كل منهما ، أي اذا سرق الذكر تقطع يده ، واذا سرقت الانثى تقطع يدها ، وانما جمع اليد ولم يقل يديهما لان فصحاء العرب يستثقلون اضافة المثنى الى ضمير التثنية ، أي الجمع بين تثنيتين ، ومثله قوله تعالى (إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما) والوصف هنا متضمن لمعنى الشرط فقرن خبره بالفاء على الاظهر . وقد صرح بأن هذا الحد على الرجال والنساء كما صرح بذلك في حد الزنا لان كلا من الذنبين يقع من كل منهما ، فأراد الله زجر كل منهما بتلاوة القرآن وان كانت الاحكام الشرعية مشتركة بينهما عند الاطلاق ، وتغليب وصف الذكورة وضمائرها في الكلام ، الا ما خص الشرع به الرجال كالامامة والقضاء . والمتبادر من اطلاق اليد اسم الكف الى الرسغ ، ولهذا قال في آية الوضوء (وأيديكم الى المرافق) وانما تتم السرقة بالكف مباشرة ، والساعد والعضد يحملان الكف كما يحملها معها البدن ، فلا يقال ان اليد لا تعمل الا بهما . ولهذا المعنى — وهو ايقاع العذاب على العضو المباشر للجريمة — قالوا ان اليمنى هي التي تقطع ، لان التناول يكون بها ، الا ما شذ .

﴿ جزاء بما كسبا نكالا من الله ﴾ هذا تعليل للحد ، اي اقطعوا ايديهما جزاء لهما بعملهما وكسبهما السيء ، ونكالا وعبرة لغيرهما . فالنكال مأخوذ من النكل وهو (بالكسر) قيد الدابة . ونكل عن الشيء عجز أو امتنع لمانع صرفه عنه . فالنكال هنا ما ينكل الناس ويمنعهم ان يسرقوا . ولعمر الحق ان قطع اليد الذي يفضح صاحبه طول حياته ويسمه بميسم الذل والعار هو أجدر العقوبات بمنع السرقة وتأمين الناس على أموالهم وكذا على أرواحهم ، لأن الارواح كثيرا ما تتبع الاموال اذا قاوم أهلها السارق عند العلم بهم ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ فهو غالب على أمره حكيم في صنعه وفي شرعه ، فهو يضع الحدود والعقوبات بحسب الحكمة التي توافق المصلحة .

وقد اختلف العلماء في القدر الذي يوجب الحد من السرقة، فروي عن الحسن البصري وداود الظاهري انه يثبت القطع بالقليل والكثير عملا باطلاق الآية وحديث «لعن الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده» رواه الشيخان من طريق الاعمش عن أبي هريرة، وعليه الخوارج . وذهب جمهور السلف والخلف ـ ومنهم الخلفاء الاربعة ـ الى ان القطع لايكون الا في سرقة ربع دينار (أي ربع مثقال من الذهب) أو ثلاثة دراهم من الفضة . والشافعي جعل ربع الدينار هو الاصل في تقويم الاشياء المسروقة لانه الاصل في جواهر الارض كلها ، وروي عن مالك ان كلا من الذهب والفضة أصل معتبر في نفسه ، وفي رواية أخرى ـ قيل انها المشهورة عنه ـ ان التقويم بدراهم الفضة لا بربع الدينار . وقال بعض العلماء : ان العروض تقوّم بما كان غالبا في نقود أهل البلد ، فيختلف باختلاف البلاد . والاصل في هذا المذهب وفي هذا الخلاف في التقدير حديث عائشة «كان رسول الله (ص) يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا» رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الا ابن ماجه . وفي رواية مرفوعا «لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا» رواه احمد ومسلم وابن ماجه ، وعنها عند النسائي مرفوعا «لا تقطع اليد فيما دون ثمن المجن» قيل لعائشة : ما ثمن المجن ؟ قالت : ربع دينار . ويؤيده حديث ابن عمر في الصحيحين والسنن الثلاث «ان النبي (ص) قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم» وفي رواية قيمته ثلاثة دراهم . وأجابوا عن حديث أبي هريرة بأن الاعمش راويه فسر البيضة ببيضة الحديد التي تلبس للحرب وهي كالمجن (الترس) وقد يكون ثمنها أكثر من ثمنه . ومذهب الحنفية ان النصاب الموجب للقطع عشرة دراهم فأكثر ، ولا قطع في أقل منها . واحتجوا برواية عند البيهقي والطحاوي والنسائي عن ابن عباس وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في تقدير ثمن المجن بعشرة دراهم . ورجحوها على حديث الصحيحين والسنن بادخالها في عموم درء الحدود بالشبهات. ولكن في اسنادها محمد بن اسحق وقد عنعن ولا يحتج بحديثه معنعنا ، فكيف يعارض حديث الصحيحين بل الجماعة كلهم ؟ وهنالك مذاهب أخرى كثيرة في قدر النصاب لا نذكرها لضعف أدلتها بل بعضها لا يعرف له دليل

ووردت أحاديث في ان الثمر المعلق والكثر (وهو بالتحريك جمار النخل) لا قطع فيها ، وأما الثمر بعد احرازه فكغيره من المال . وقيل لاقطع فيه . واشترط الجمهور في القطع ان يسرق الشيء من حرز مثله فان لم يكن محرزا محفوظا فلا قطع . وتفصيل ذلك في كتب الحديث وشروحها •

وتثبت السرقة بالاقرار وبالبينة . وتسقط بالعفو قبل الرفع الى الامام • وكذا بعده عند بعض العلماء ، وهو مخالف للاحاديث الصريحة . وورد النهي عن اقامة الحد في الغزو . وتفصيل ذلك في محله . وأما التوبة فقد بين الله حكمها في قوله :

﴿ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ﴾

أي فمن تاب من السراق ورجع عن السرقة وغيرها من المعاصي رجوع ندم وعزم على الاستقامة ، من بعد ظلمه لنفسه بامتهانها وسفهها ، وللناس بالاعتدا على أموالهم ، وأصلح نفسه وزكاها بالصدقة المضادة للسرقة وبغير ذلك من أعمال البر ، فان الله تعالى يقبل توبته ويرجع اليه بالرضاء والاثابة ويغفر له ويرحمه ، فان ذلك من مقتضى اسمه التواب واسمه الرحيم .

وهل يسقط الحد عن التائب ؟ قال بعضهم لا يسقطه مطلقا . وقال بعض السلف : بل يسقط عنه . واذا قيست السرقة على الحرابة والافساد فالقول بسقوط الحد ظاهر ، ان تاب قبل رفع أمره الى الحاكم ، ولكن لا يسقط حق المسروق منه ، بل لا تصح التوبة الا باعادة المال المسروق اليه بعينه ان بقي ، والا دفع قيمته ان قدر . ولا يظهر لنا وجه لما قاله بعض الفقهاء من عدم الجمع بين الحد وغرامة المال المسروق ، فان الحد حق الله تعالى لمصلحة عباده عامة ، والمال حق من سرق منه خاصة .

﴿ ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وهو على كل شيء قدير ﴾ جعل الله تعالى هذه الآية ذيلا لهذا السياق ، بين فيه ماينبغي ان يحضر القلوب بعد تلك العبر والاحكام ، فقال ما حاصل المراد منه : ألم تعلم أيها السامع لهذا الخطاب ان الله تعالى له ملك السموات والارض ، يدبر الامر فيهما بالحكمة والعدل والرحمة والفضل ، فكان من متعلقات اسمه العزيز الحكيم أن وضع هذا العقاب لكل من يسرق ما يعد به سارقا من ذكر أو أنثى ، كما وضع

ذلك العقاب للمحاربين المفسدين ، ومن مقتضى اسمه الغفور الرحيم ان يغفر لمن تاب من هؤلاء وهؤلاء ويرحمه ، اذا صدق في التوبة وأصلح عمله ، فهو بمقتضى أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، يعذب من يشاء تعذيبه من الجناة تربية ، وتأديبا لعباده من شره ، ويرحم من يشاء من التائبين والمصلحين برحمته وفضله ، ترغيبا لعباده في تزكية أنفسهم ، واصلاح ذات بينهم ، وهو على كل شيء من التعذيب والرحمة قدير ، لايعجزه شيء في تدبير ملكه .

يجوز ان يكون الخطاب لكل من يسمع القرآن أو يقرؤه . ويجوز ان يكون موجها الى الرسول (ص) والاستفهام فيه للتقرير ، أي إنك تعلم هذا فتذكره وذكر به . وجعله ابن جرير لأهل الكتاب الذين كانوا في المدينة وجوارها ومن على شاكلتهم ، الذين قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، لان السياق الذي اتصل ببيان حد السرقة كان في محاجتهم ، ومن إبطال دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه بأنهم بشر من جملة خلقه ، وانه هو رب العباد [illegible] أمرهم بالعدل والحكمة ، يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء كما تقدم [illegible] ابن جرير يرى أن ما ذكر من وضع الله الحدود والعقوبات في الدنيا ، وبيان ما أعده من الجزاء والعذاب للعصاة في الآخرة ، ينتظم في سلك الدلائل على ابطال دعوى قولهم انهم أبناء الله وأحباؤه ، واثبات كونهم بشرا من جملة خلقه يعذب من شاء منهم بالشرع و بالفعل كما يعذب غيرهم ، كما يرحم من يشاء . كما تشهد بذلك شريعتهم ذات العقوبات القاسية ، وما وقع عليهم أفرادا وجميعا من عذاب الدنيا بالحرب والسبي والامراض .

وقد تقدم هنا ذكر العذاب على ذكر الرحمة خلافا لما تكرر في القرآن حتى في مثل هذا التركيب من تقديم الرحمة أو المغفرة على العذاب ، ومنه الآية التي رد الله فيها على أهل الكتاب زعمهم انهم أبناء الله وأحباؤه ، اذ قال (بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء) وحكمة هذا التقديم هنا ترتيب الآية على ماقبلها من بيان عقاب السارق أولا ، وبيان توبته ثانيا . فهي لاتنافي كون الرحمة المطلقة سابقة ومقدمة على العذاب المطلق .

واستدل الرازي وأمثاله بالآية على مذهب الاشاعرة القائلين بأنه يحسن من

الله تعالى أن يعذب التائبين الصالحين ، والنبيين والصديقين ، ولو بتخليدهم في النار ، ويرحم المفسدين الظالمين ، ولو بتخليدهم في الجنة . ووجه الدلالة عندهم انه تعالى ناط التعذيب والرحمة بالمشيئة ، ورتبه على كونه مالك الملك ، والمالك يتصرف في ملكه كما يشاء . وما حسن لهم هذا القول واستنباط مثل هذا الدليل له الا توجه ذكائهم وفهمهم الى الرد على من نقلوا عنهم من المعتزلة انه يجب عليه تعالى ان يفعل ما هو الاصلح لعباده . فان كان قد قال هـذا القول بنصه أحد فهو مخطئ ، وقليل الأدب ، لأنه يوهم أن هنالك سلطانا فوق سلطان الله سبحانه يوجب عليه وان كان لا يريد ذلك . ولكن الاشاعرة لا يستطيعون ان ينكروا ولا أن يتأولوا ما ثبت في الكتاب والسنة من ان الله تعالى يوجب على نفسه ما يشاء ، فلا يكون ذلك نافيا لكونه صاحب الملك والتدبير ، ولا تقييد مشيئته بسلطة سواه . ولا هم ينكرون ان مشيئته لا تكون الا على حسب علمه وحكمته ، وانه لا يمكن ان تكون معطلة لصفة من صفاته ، وهذا لا يدعيه عاقل فمقتضى الملك ان يكون كل عمل يعمله المالك حسنا من حيث انه المالك مما لا مرد في الشرع والعقل والعرف ليس كذلك ، فالذي يملك عدة عبيد فيعامل المحسن منهم بالضرب والاهانة بغير ذنب منه ، ويحسن الى الفاسق المسيء المفسد في داره وملكه ، يعد ظالما مذموما شرعا وعقلا ولغة وعرفا . واما كون كل ما يفعله الله تعالى فهو حق وحسن فليس سببه انه المالك وكون المالك يحسن منه كل تصرف في ملكه من حيث انه المالك ، بل لأنه تعالى منزه عن الظلم والنقص ، متصف بالحكمة والعدل ، والرحمة والفضل ، فتقديسه وتنزيهه وكماله يتجلى في اسمائه الحسنى كلها لا في اسم الملك والمالك والمريد فحسب .

فتاوى المنار

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله.

« دعاة البهائية ومجلة البيان المصرية »

(س ٣) من صاحب الامضاء في القاهرة

حضرة العالم الفاضل صاحب المنار الاغر

نشرت مجلة البيان التي تصدر في مصر مقالا عن البهائيين وزعيمهم عباس افندي جاء فيه ما يأتي: ـ « ذلكم هو مولانا عباس افندي الملقب بعبد البهاء بطل الاصلاح الديني وسيد المصلحين الدينيين، والصدر الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه « البهائية [illegible] » وما دعوتها في الحقيقة الا دعوة اصلاح وبقاء للاسلام » [illegible] تعاليم القرآن فنقوها مما علق بها مما ليس من الدين الصحيح في شيء » ـ « ان نعيم الآخرة وهم وخيال »

هذا بعض ما جاء في تلك المجلة وما نشره صاحبها المسلم الازهري عقب مقابلته لزعيم البهائيين في الاسكندرية

وقد رد على (البيان) الاستاذ صاحب (عكاظ) في عدة مقالات وتبعه كاتب في جريدة الشعب ثم تبعتهما جريدة الافكار وكلهم كان يطالب الى صاحب (البيان) تكذيب ما نشره في هذا الموضوع والرجوع الى الحق، ولكنه كان يقول لهم إني كتبت واكتب عن البهائيين وزعيمهم كما كتبنا عن فولتير وسبنسر ونيتشه، وكما كتب الاوربيون و يكتبون عن العظماء والفلاسفة والنابغين

فما رأي العالم الجليل صاحب المنار في ما نشره « البيان » في موضوع البهائيين وزعيمهم ؟ وما رأيه في رد عكاظ اولا والشعب والافكار ثانيا ؟ (ف ـ صحفي قديم)

(ج) بينا في المنار مرارا ان البهائية قد انتحلوا دينا جديدا في هذا العصر، وان دينهم أبعد عن الاسلام من دين اليهود. لأن أساس دين اليهود التوحيد الذي

هو أساس الاسلام ، وأساس دين البهائية وثني مادي ، وهم يعبدون والد زعيمهم عباس افندي الملقب (بعبدالبهاء) وما هذا اللقب الاعنوان القول بألوهية البهاء . ولهم شريعة ملفقة من الأديان المختلفة ، وفلسفتها هي عين فلسفة سلفهم من فرق الباطنية ، الذين حاربوا الاسلام بالدسائس التي اخترعتها لهم جمعيات المجوس السرية ، لافساد أمر المسلمين وازالة ملكهم انتقاما للمجوسية التي أبطلها الاسلام . الا وان مرزا حسين الملقب بالبهاء هو وولده الداعية عباس افندي قد جعلا دينهما الجديد تنقيحا لما دعا إليه الأبله الثرثار مرزا محمد علي الذي اشتهر بلقب (الباب) وانما مهد السبيل لدعوته في بلاد الفرس بدعة الشيخية ، الذين هم اكبر المفسدين في الشيعة الامامية ، وسننشر في المنار شيئا من فلسفتهم الخيالية ، التي انتزعوها من أباطيل الباطنية ، وزوقوها في معرض الاساليب الصوفية .

وجملة القول ان دين البهائية دين مخترع ، افتراه الباب المخدوع ، ونقحه بهادي الزمان الباقعة عباس افندي . وهو أضر على الاسلام من كل دين في الأرض ، لان أهله يسلكون في الدعوة اليه مسالك سلفهم الباطنية في مخادعة عوام المسلمين وايهامهم أنهم يصلحون لهم دينهم ، والاحتجاج بالشبهات التي يحرفون بها القرآن والاحاديث بالتأويلات البعيدة ، فهم أكبر فتنة على المسلمين في هذا العصر ولا سيما على الشيعة ، لان الغلو في التشيع سلم الباطنية ، ولهذا كان يقول بعض العلماء يقول : ائتني برافضي كبير اخرج لك منه باطنيا صغيرا ، وائتني بباطني كبير اخرج لك زنديقا كبيرا

فمن عرف دين البهائية من المسلمين ومدحه واستحسنه وشهد بكونه حقا أو اصلاحا للاسلام ، وكونه هو أو زعيمه معصوما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كان بذلك مرتدا عن الاسلام ، وان زعم انه مسلم ، فهو زنديق منافق ككفار الباطنية اذا كانوا ضعفاء بين المسلمين فالبهائية كسلفهم من الباطنية يتوسلون بدعوى الاسلام بين المسلمين ليقبل كلامهم في دعوتهم الى باطلهم وتحريف معاني القرآن للاستدلال عليها ، وإبطال ما يفهمه المسلمون منها فاذا كان صاحب البيان قد قال ما نقله عنه السائل معتقدا له فالأمر ظاهر ، وان كان قد كتبه عن جهل بحقيقة القوم فكان الواجب عليه بعد ان يثبت جريدة عكاظ وغيرها ان يرجع الى الحق ويصرح ببطلان دين البهائية وتحذير المسلمين من خداع دعاته (ويسمونهم مبلغين) وأما ماذكره السائل عنه من الاعتذار عن تقديس دين وثني مادي وتقديس داعيته واحد مخترعيه ـ بان مدحه له كمدحه لمواليه ـ فهو غريب ، فان مدحه لمواليه إن

كان باطلا فهو تأييد للباطل بالباطل ، وان كان يراه حقا ويرى أن ما قاله في عباس افندي ودينه حق أيضا ، يكون قد ارتد عن الاسلام ودخل في دين البهائية . والا فان من قال حقا وقال باطلا ، لا يكون قوله الحق مرة عذرا له اذا قال الباطل بعده . والذين مدحوا مثل فولتير من كتاب الافرنج كانوا مثله مارقين من النصرانية ، فهل يرضى صاحب البيان ان يكون مدحه لعباس كمدحهم لفولتير ؟ وليس ما نقله السائل عن البيان قول مؤرخ يحكي شيئا وقع لارأي له فيه ، حتى يقال « ان حاكي الكفر ليس بكافر » بل ذلك مدح لهذا الدين الجديد وتفضيل له على غيره يتضمن دعوة المسلمين اليه . فاذا لم يكن هذا مراده فليصرح بكتابة براءته من البهائية والتحذير من كفرهم بالاسلام . على ان فيما نقله السائل عنه ما هو كفر في نفسه بالاجماع ، كانكار حقيقة اليوم الآخرة ، وتسميته وهما وخيالا ، بناء على ان هذا من مذهبهم . وجملة القول ان من شأن المسلم ان لا ينشر شيئا يعد كفرا في دينه ، وان لا ينقله عن غيره مقرا له ومستحسنا . فكيف بثوبه بمدح دين جديد يراد به نسخ الاسلام وابطاله من الارض ويصفه بأنه هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين ولا من خلفه ؟ وقد قرأنا [illegible] وأيناه مبنيا على أساس الصواب ولم نرما كتب في جريدة [illegible] بل قلما نراها - وكذا جريدة الافكار - والحق ظاهر [illegible]

**

(البحث في تعدد الزوجات والطلاق والحجاب)

(س ١) من صاحب الامضاء في مصر

فضيلة الاستاذ العالم العلامة منشئ المنار الأغر

بعد الاحترام نرجو من سيادتكم اجابتنا على السؤال الآتي في مناركم الأغر :

هل يعد البحث في تعدد الزوجات والطلاق والحجاب من الوجهة العمرانية وتبيان اضرارها في الناس من الوجهة الاقتصادية اهانة للدين الاسلامي

عبد الحميد حمدي بشبرا مصر

(ج) حاشا لله ان يعد البحث في هذه المسائل اهانة للدين الاسلامي مطلقا . بل كثيرا ما يكون البحث فيها كاشفا عن حكم الاسلام وفضائله ، ومبينا وجه كونه دين الفطرة الجامع بين مصالح الروح والجسد . ولكن غير المسلم قد يهين الدين

الاسلامي اذا خالف هواه ورأيه بعض أحكامه ، فيتخذ ذلك وسيلة الطعن فيه .
أما المسلم فانه يبحث عن الحقائق مع الادب فان عرضت له شبهة على حكم إسلامي ثابت يزداد بحثا ليزداد علما ، ولكنه ينسب القصور الى نفسه لا الى دينه ، ويجعل هذا قاعدة البحث ، الى ان يتبين له الحق .

• •

{ اسئلة من صاحب الامضاء في (المعطف) من ٥ - ١١ }

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الاستاذ الأوحد منشيء المنار المنير ، السيد محمد رشيد رضا ، شاد الله به منار الدين

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فاني سائل فضيلتكم عن أمور أشكلت علي مؤملا اسعافي بأجوبتها لما أني لا أدري لذلك من أعرف أهلا سواكم

(١) لماذا حمل الاستاذ الامام أخذ الكتب في القيامة بالأيمان وبالشمائل من وراء الظهور على الحالة النشاط والسرور وعدمه مع إمكان الحمل على الظاهر الذي تمتنع مخالفته بلا دليل ؟ واستبعاد ظهور وراء الظهر لا تصوره به لا يوجب رفض الظاهر فلم لا يقال يأخذ الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره حقيقة ولا يزاد على ذلك ؟ ويجعل النشاط والسرور سبباً للأخذ باليمين وضد ذلك سبباً للاخذ بالشمال من وراء الظهر ؟

(٢) هل يحل التداوي بالخمر اذا ظن نفعها بخبر طبيب أخذاً من آية (ما جعل الله عليكم في الدين من حرج) ومن القاعدة المتفق عليها : الضرورات تبيح المحظورات . واذا جوزتم فما ترون في حديث « إنها داء وليست بدواء » أو كما ورد

(٣) هل الخمر نجسة وما دليل نجاستها ان قلتم بها ؟ فاني لم ار دليلا شافياً بعد شدة البحث

(٤) ما جواب مجوزي سماع الملاهي عن حديث تحريم سماع المعازف الذي في البخاري

(٥) ما درجة حديث النهي عن تعليم النساء الكتابة وهل له معارض ؟ وما رأيكم في هذا التعليم ؟ والحديث المشار اليه ذكره في فتح البيان عن البيهقي والحاكم وابن مردويه وسكت عليه ، فهل ذكر الحاكم له يفيد صحته

(٦) ما درجة حديث جابر في خلق النور المحمدي قبل الاشياء فقد انكر الشيخ عبد العزيز شاويش صحته مع ذكره في كتب جمة كشرح الهمزية لابن حجر لكن لم ار من صححه بعد شدة بحث في كثير من كتب السنة

(٧) لم شرطتم على المفتي ذكر دليل الحكم للعامي مع ان كثيراً من الادلة يصعب جداً تفهيمه اياها فالتكليف به حرج شديد ؟ واذا وسع العامي أن يثق برواية المفتي فلم لا يسعه أن يثق بانه اخذ فتواه من دليل صحيح ؟ فانا اذا نظرنا الى احتمال خطأ العالم في اخذ الحكم أو فتواه بما لا يعلم لزم أن ننظر الى احتمال كذبه في الرواية أو في تفهيم مرويه ، ولا اخالكم ترتابون في صعوبة تفهيم العامي بعض الادلة لعلمكم بان مأخذ الحكم قد يتركب من حديثين أو احاديث أو من سنة وقرآن ، ويحتاج تقريره الى فطنة والمام بجملة علوم

هذه ياسيدي الاستاذ مسائل اشتدت حاجتنا الى معرفة الحق فيها جداً فلجأنا اليكم والامل تحقيق طلبنا ملء الفؤاد لا برحتم عضد الحق

خادم العلم الشريف
ح . ز ـ بالعطف

﴿ اخذ الكتب بالايمان والشمائل ﴾

حمل الاستاذ الامام الآية في سورة الانشقاق على الكناية لانه الابلغ الذي يظهر به معنى الوعد والوعيد الذي وردت الآية في سياقه . والكناية لا تنافي الحقيقة ، فيجوز أن يكون المراد هو ما فسر به الآية مع كون الاخذ بالايمان والشمائل ممدودة الى ما وراء الظهر يقع بالفعل . ولكن ارادة الحقيقة وحدها خبر مجرد ليس فيه ما في الكناية من الموعظة و بيان حسن حال من يأخذ كتابه بيمينه من قبل وجهه، وسوء حال من يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره. وحمل كلام الله على ابلغ الوجوه العربية واظهرها انطباقاً على مقاصد القرآن هو الاولى بل المتعين، وقد انزل الله القرآن هدى وموعظة وعبرة وذكرى كما هو مبين في عدة آيات. نعم لا يجوز ان يتكلف المفسر في كلام الله تعالى معاني لا يسيغها الاسلوب العربي البليغ للهروب من معنى متبادر لا يوافق ذوقه أو رأيه . وقد عهد في الاستعمال العربي البليغ التعبير باليمين و الاخذ باليمين عن اليمن والنشاط والعناية ، و بالتعبير بالشمال عن ضد ذلك من التشؤم والكراهة . وسمت العرب اليد اليمين اليمنى، والشمال الشؤمى. وكانوا يتيمنون بالطير اذا مرت يميناً ويتشاءمون

بها اذا مرت شمالا . فقول العرب اخذ فلان كذا بيمينه او بشماله ، قلما يريدون الا الكناية ، فهو من الكنايات المشهورة بينهم ، لأن ارادة الحقيقة قلما تكون لها فائدة . واما قول العلماء ان الاصل في الكلام الحقيقة ولا يصار الى المجاز أو الكناية الا بدليل وقرينة ، فلا يريدون به ان كل ما امكن أن يراد به الحقيقة يحمل عليها مطلقاً ، فان من الكلام ما يجزم سامعه عند سماعه انه مجاز أو كناية مع إمكان ارادة المعنى الحقيقي . ثم ان تحديد الحقيقة في كل مواد الكلم والتمييز بينها وبين المجاز والكناية ليس من السهولة بحيث ينال من طرف الثمام ، ولعسره انكر بعض النقاد المجاز من اصله وعد الجماهير كثيراً من المجازات حقائق ، وخلطت معاجم اللغة الحقيقة بالمجاز ولم يعن بالتمييز بينهما الا افراد من الجهابذة كالزمخشري في أساس البلاغة ، وليس هذا المقام بالذي يتسع لبيان ذلك

﴿ التداوي بالخمر ﴾

التداوي بالخمر لمن ظن نفعها شيء . والاضطرار الى شربها شيء آخر . فاما الاضطرار فانما يعرض لبعض الافراد في بعض الاحوال ، وهو يبيح المحرم من طعام وشراب بنص قوله تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) وبنفي الحرج والعسر وغير ذلك من الادلة . وقد مثل الفقهاء له في شرب الخمر بمن غص بلقمة فكاد يختنق ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر . ومثله من دق من البرد وكاد يهلك ولم يوجد ما يدفع به الهلاك برداً سوى جرعة أو كوب من خمر ، ومثله أو أولى منه من اصابته نوبة ألم في قلبه كادت تقضي عليه وقد علم أو اخبره الطبيب بانه لا يجد ما يدفع عنه الخطر سوى شرب مقدار معين من الخمر القوية كالنوع الخبيث الافرنجي الذي يسمونه (كونياك) فانا نسمع من الاطباء انه يتعين في بعض الاحيان لعلاج ما يعرض من مرض القلب ودفع الخطر وقد ثبت ذلك بالتجربة . وهذا النوع من العلاج لا يكاد يكون شرباً للخمر وانما يؤخذ منه نقط قليلة لا تسكر . واما التداوي المعتاد بالخمر لمن يظن نفعها ولو باخبار الطبيب كتقوية المعدة او الدم ونحو ذلك مما نسمعه من كثير من الناس فهذا هو الذي كان الناس يفعلونه قبل الاسلام ونهى عنه النبي (ص) ونص الحديث الذي اشار اليه السائل «انه ليس بدواء ولكنه داء» رواه احمد ومسلم وابو داود والترمذي . وسببه ان طارق بن سويد الجعفي سأل النبي عن الخمر وكان يصنعها فنهاه عنها ، فقال إنما اصنعها للدواء . فقاله ، وقوله

«ولكنه داء» هو الحق وعليه اجماع الاطباء ، فان المادة المسكرة من الخمر سم تتولد منه امراض كثيرة يموت بها في كل عام الوف كثيرة ، والسموم قد تدخل في تركيب الادوية ، ولكن الذين يشربون الخمر ولو بقصد التداوي بها لا يلبثون أن يؤثر في اعصابهم سمها ، فتصير مطلوبة عندهم لذاتها ،أي لا لمجرد التداوي بها ، فيتضررون بسمها ، فلا يغترن مسلم بأمر احد من الاطباء بالتداوي بها لئلا ما يصفونها له عادة والله الموفق

﴿ نجاسة الخمر ﴾

ذهب جمهور الفقهاء الى نجاسة الخمر ، وروي عن ربيعة شيخ الامام مالك القول بطهارتها ، فاما نجاستها المعنوية فلا شك فيها ، واما النجاسة الحسية فلا تصدق على الخمر لغة لانها ليست قذرة والنجس ما كان شديد القذارة ، ولا قام عليها دليل من الكتاب ولا من السنة . وقد شرحنا ذلك في الجزء الرابع من المنار (ص ٥٠٠ و ٨٢١ و ٨٦٦) فليرجع اليه السائل ان شاء . وقد جمعتنا الايام بعد كتابة ما كتبناه في ذلك الجزء بجماعة من اكابر علماء الأزهر في قطار خاص من قطارات سكة الحديد كان يحملنا الى بلدة (دروط) بدعوة [illegible] (رحمه الله) للاحتفال بتأسيسه مسجداً ومدرسة فيها ، فدار الكلام [illegible] فقال احد علماء المالكية انه يريد أن يكتب رسالة يثبت فيها نجاسة الخمر بالدليل فتكون رداً على المنار، قلت له اذا جئت بدليل صحيح يقبله المنار وينشره في الاقطار ، والا رد عليك ما تكتب ، ويمكنك أن تذكر الآن ما عندك من الدليل ، قال «الاجماع» قلت لم ينقله احد بل نقلوا عن الامام ربيعة التصريح بطهارتها ، قال «آية المائدة» قلت : إن لفظ «رجس» محمول فيها على الخمر والميسر والانصاب والازلام ، ولم يقل احد من من المسلمين بنجاسة الميسر والانصاب والازلام ، فتعين ان يكون الرجس هو المستقبح عقلا وشرعاً لضرره ، والرجس يكون حسياً وهو ما يدرك باحد الحواس ، ويكون معنوياً وهو ما يعرف بالعقل والشرع مجتمعين أو منفردين ، قال تعالى (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) وقال (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم) وقال (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) ولا يمكن ارادة النجاسة الحسية بشيء من ذلك . . . ولما لم يستطع الاستاذ المالكي أن يقيم دليلا ، سال احد الحاضرين مفتي الديار المصرية - وكان يسمع المناظرة - عن رأيه في المسألة . فقال

المفتي : ما مذهب الاستاذ؟ يعني كاتب هذا . قيل له شافعي . فقال لي : ما المعتمد عند الشافعية في المسألة؟ قلت المعتمد ان الخمر نجسة . قال انتهى الامر . قلت لا ، انما بحث في الدليل على نجاسة الخمر لا في نص المذهب . فان كان لديك دليل فاذكره لنا . فلم يات بشيء . ثم سكت الشيوخ وسكتنا .

﴿ سماع المعازف ﴾

قد شرحنا في الجزءين الاول والثاني من المجلد التاسع هذه المسألة فذكرنا ادلة مجوزي السماع وادلة حاظريه . وأقوى أدلة الحاظرين حديث البخاري الذي أشار اليه السائل . اذ لم يصح في الباب سواه . بل قال ابن حزم : لا يصح في الباب حديث أبدا وكل ما فيه فموضوع . وبينا أجوبة المجوزين عن هذا الحديث (فمنها) انه منقطع الاسناد فيما بين البخاري (ومنها) ان في اسناده صدقة ابن خالد وقد قال فيه يحيي بن معين انه ليس بشيء ، والامام احمد انه ليس بمستقيم (ومنها) انه مضطرب المتن والسند بما بيناه هنالك (ومنها) ان كلمة المعازف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود . (ومنها) ان لفظة يستحلون ليست نصا في التحريم فقد ذكر القاضي أبو بكر بن العربي لها معنيين أحدها ان المعنى : يعتقدون ان ذلك حلال والثاني [illegible] من ذلك (ومنها) ان لفظة المعازف [illegible] الاحتمال [illegible] تسقط الاستدلال (ومنها) أن المعازف المنصوص عليها فيه هي ما كانت مقترنة بشرب الخمر كما يستفاد من بعض روايات الحديث (ومنها) ان المراد بالحديث يستحلون مجموع ما ذكر فيه لا كل واحد منها . وحينئذ يستثنون المعازف بدليل كون الدف والغناء منها جمعا بين الادلة ، إذ ثبت في الاحاديث المتفق عليها سماع النبي (ص) واجازته لهما . واذا أراد السائل أن يقف على تفصيل هذه الوجوه والاجوبة عنها وملخص ما قاله المجوزون والمحرمون في المسألة فليرجع الى المجلد التاسع من المنار .

والذي ظهر لي من مجموع ما ورد في هذا الباب ومن كلام العلماء المحققين في المسألة ان سماع الغناء وآلات اللهو ليست محرمة لذاتها مطلقا ، ولكن الاكثار منها مكروه ولو لم تبعث على معصية ، فاذا كانت مغرية بالفسق كما يقع كثيرا حرمت لسد الذريعة . ولما كثر اللهو والفسق من المفتونين بالمعازف وصارت أغانيهم كلها غرامية خلافا لما كان عليه الناس في القرون الاولى وصارت بذلك من دواعي السكر والعشق المؤدي للفسق ـ اكثر علماء الدين من ذمها والتنفير منها والجزم بتحريمها ـ كما حرموا

إبداء المرأة ما ظهر من زينتها وكشف وجهها وكفيها خوف الفتنة ، حتى منعوا النساء الصلاة في المساجد . وقالوا مثل ذلك في الأمرد الجميل الصورة . وحديث البخاري أي المسئول عنه أخبار بالغيب عن حال هؤلاء الفساق، فلا يبعد عن الفهم من قال انه في تقبيح حال هؤلاء الفساق في جملة أعمالهم . فرواية البخاري « ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر (١) والحرير والخمر والمعازف » ورواية بعض السنن « ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رءوسهم بالمعازف والمغنيات » وفي لفظ « وروح عليهم القيان وتغدو بالمعازف » فالحديث مروي بالمعنى ولذلك اختلفت ألفاظه . ولا شك ان ما يؤخذ من تعدد ألفاظه يدل على استقباح النبي (ص) لمجموع فعل هؤلاء الفساق ، ومنه عزف المغنيات لهم على شربهم وفسقهم . فهو مثل حديث « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات على رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » رواه أحمد ومسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة . فأما الرجال الذين يضربون الناس بسياط كأذناب البقر [illegible] التي تسمى الكرابيج وصاروا يضربون الناس [illegible] وأما النساء [illegible] فهن مشاهدات في زماننا . ولم يفهم المراد من وصفهن بما ذكر كثير من العلماء قبل وجودهن، وانت ترى من وصفهن أنهن يضعن على رءوسهن شيئاً مرتفعاً شبه سنام البخت من الابل . وهذا بحد ذاته مباح بالاجماع، ولكنه مع سائر تلك النعوت يمثل حال طائفة من الفواسق العواني اللواتي يضللن كثيراً من الناس

﴿ تعليم النساء الكتابة ﴾

لم يصح في النهي عن تعليم النساء الكتابة شيء . وليس كل ما يرويه الحاكم صحيحا بل صحح في مستدركه على الصحيحين أحاديث جزموا بأن بعضها ضعيف وبعضها موضوع . ومنها هذا الحديث الذي يشير اليه السائل « لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة » رواه في المستدرك من طريق عبد الوهاب بن الضحاك عن عائشة ، وهو كذاب كما قال ابو حاتم ، متروك كما قال النسائي، منكر الحديث كما قال الدارقطني . وقال الحافظ بن حجر في الاطراف بعد ذكر تصحيح الحاكم له: بل عبد

(١) الحر بالكسر الفرج والمراد الزنا ، وفي لفظ الخز [illegible] ، وهو نوع من الديباج وهذا من الاضطراب في متن الحديث

الوهاب متروك، وقد تابعه محمد بن ابراهيم الشامي عن شعيب بن اسحق ، وابراهيم رماه ابن حبان بالوضع . وابن حبان هو الذي روى حديثه هذا في كتاب الضعفاء ، وقال الدارقطني فيه : كذاب . واخرج ابن حبان في الضعفاء أيضاً عن ابن عباس مرفوعا « لا تعلموا نساءكم الكتابة » وفي سنده جعفر بن نصر وهو متهم بالكذب كما قال الذهبي . وهذه الروايات الواهية او الموضوعة معارضة بروايات صحيحة في مشروعية تعليم النساء الكتابة ، منها حديث الشفاء التي علمت حفصة أم المؤمنين الكتابة ، وقال لها النبي (ص) مرة مازحا « الا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة » رواه احمد وابو داود بسند رجاله رجال الصحيح ، الا ابراهيم بن مهدي البغدادي المصيصي وهو ثقة كما قال ابن القيم ، ورواه النسائي والحاكم وصححه ، وغيرهم . وقد صرح كثير من العلماء أن حديث الشفاء يدل على جواز تعليم وتعلم النساء الكتابة ، وفي الأدب المفرد للبخاري ان عائشة بنت طلحة كانت في حجر عائشة أم المؤمنين تكاتب الرجال . كانوا يكتبون اليها من الامصار ويهدون اليها لمكانها من أم المؤمنين فتأمرها أم المؤمنين بأن تجيبهم على كتبهم وتثيبهم على هداياهم . وعلى هذا جرى المسلمون فكان فيهم كثير من الكاتبات العالمات بالحديث والأدب والطب . وهن يدخلن في عموم خطاب الشرع في جميع احكامه الا ما خصص ، ومن مقاصد الشرع اخراج الامة من الامية وتعليمها الكتاب والحكمة كما هو منصوص في كتاب الله تعالى

حديث جابر في اول الخلق

تجدون الكلام على هذا الحديث وما في معناه من كون نبينا (ص) كان نبياً وآدم بين الماء والطين وغيره في ص ٨٦٠ – ٨٦٩ من مجلد المنار الثامن ، ولا عبرة بكلام مثل الشيخ عبد العزيز جاويش في انكار حديث ولا في اثباته فانه ليس من علم الحديث في شيء ، وهو جريء على القول في الدين بالهوى والرأي حتى انه انكر بعض احاديث الصحيحين بغير علم ، فهو ينكر مالا يوافق عقله ورأيه

ذكر المفتي للدليل

يكم ذكرتم في السؤال عبارتنا التي استنبطتم السؤال منها فانا لا نتذكر مسألة الشرطية ولا نتذكرها ، وانما نذكر اننا كتبنا مرارا انه ينبغي للعلماء والمفتين في الدين أن يبينوا للناس نصوص الكتاب والسنة في المسائل ليعرفوا اصل دينهم ، ومن اين أخذ الحكم الذي افتوه أو أفتوا به . وهذا هو الواجب الذي أخذ على اهل الكتاب العهد أن يبينوه

للناس ولا يكتموه ، فاذا تعسر أو تعذر على بعضهم فهم الآية أو الحديث بعد بيانه بقدر الاستطاعة خرج المتق من تبعة الكتمان . واما المسائل التي لا نص فيها بعينها ويتعذر على السائل فهم مأخذها ، كبعض مسائل المواريث التي يدخلها العول مثلا ، فلا بأس ببيان الحكم فيها بدون ذكر مأخذه . واما تعويد الناس اخذ مسائل الدين بدون وصلها بأصلها من الكتاب والسنة فهو قطع لحبل الله ورسوله بين المؤمنين ، وهو الذي فتح للباطنية وغيرهم من المضلين ، باب اضلال المسلمين ، اذ صارت العامة تقبل كل ما يقال لها انه من الدين — فهذا سبب ما رأيتموه وسميتموه اشتراطا ، ولولا ضيق الوقت لراجعنا ما تشيرون اليه من مظانه واجبنا عنه بعينه ، والخطب سهل ان شاء الله تعالى .

باب الانتقاد على المنار

﴿ نقد عبارة في المنار ، والمناظرات بين دعاة النصرانية وعلماء الاسلام ﴾

ارسل الينا طاهر افندي [illegible] في الرد على دعاة النصرانية الذين فتح لهم الدستور باب الجرأة على توزيع رسائل الطعن في الاسلام في سورية حتى قاربوا ان يجبر[illegible] في كل من التبذير شذوذا في التعبير [illegible] بعض المعاني الشعرية التي تؤثر تأثيرا رديئا [illegible] في الكلام ما ينتقد على الكاتب ، وكذا على الناشر ، لانه يؤلم القارئ من النصارى ، اذ كاشفنا بعض اصدقائنا السوريين بما انتقدوه ، وقالوا ان مثل هذا لا يعهد من المنار فهو يرد على المبشرين من سنين طويلة ولم ننتقد عليه كلمة واحدة تعد جارحة أو بعيدة عن الأدب ، ثم انه قد عرف بأنه داعية وفاق ومودة ، فلا ينبغي له ان ينشر لمن لا يراعون مشربه هذا ما ينافيه . فرأينا ان نكتب كلمات في هذا الموضوع تزيل اللبس ، وتكون هي القول الفصل ، وهي :

(١) اننا نحمد الله تعالى ان جعلنا من دعاة الوفاق والمودة ، ومن محبي الأدب والنزاهة ، وانه ليسوءنا ويحزننا ان نقع في سهو او غلط ينافي ذلك ويعارضه ، وانا عثرنا نسارع الى التوبة والندم ، وتلافي ما يمكن تلافيه بما تحمله الطاقة ، وتناله الاستطاعة .

(٢) ان المنار لا يشترك فيه النصارى كما يشترك المسلمون في صحفهم الدينية — دع السياسية التي تسمى عامة — فلا يوجد في مشتركيه عشرة نفر من النصارى ، لأجل هذا لا يخطر في بالنا عند كتابة كل شيء او نشره ان نراعي فيه موقعه من نفوسهم ، وتأثيره في جمهورهم ، والادب مطلوب عندنا لذاته . وانما يطلع عليه عدد قليل من اهل العلم والأدب كاصحاب الصحف التي يبادلها المنار ، وهؤلاء من الاحرار اصحاب الصدور

الواسعة ، فاذا هم استنكروا شيئا لا يذيعونه في جمهور قومهم ، ونتيجة هذا أن ما ينشره المنار لا تأثير له في عامة النصارى حتى قال ان المجلات كالجرائد يجب ان يراعى فيها شعور جميع الملل التي تقيم في الوطن التي تصدر فيه او تنطق باللغة التي تكتب بها . فهو انما من كتب الاسلام الدينية ، فلا وجه لمطالبتنا أن نراعي شعورهم فيه ، ولا لدعوى ان ما ننشر مخالفا لعقائدهم او ردا عليها يوجب التفرقة والعداوة .

(٣) إن دعاة النصرانية هم المعتدون على المسلمين بالطعن في دينهم بما ينشرون من الكتب والرسائل والصحف ، وبما يعقدون من الجامع لدعوة المسلمين الى دينهم وفي مدارسهم ومستشفياتهم ، فصار من الواجب علينا شرعا أن ندافع عن ديننا ، وننفر عوامنا عن قبول دعوتهم . فالفرق بيننا وبينهم انهم مهاجمون ونحن مدافعون ، وانهم يكتبون مطاعنهم لينشروها في المسلمين ، كما يبثون مطاعنهم القولية فيهم ، ونحن لا ننشر مطاعننا بين النصارى ولا نشافههم بها ، ولا يكاد يطلع عليها الا عدد قليل من محبي الوقوف على الشؤون العامة . فمن ينتقد ما نكتبه بدعوى انه يوجب العداوة والتفرقة بين عامة الفريقين مخطئ ، وانما يكون مصيبا اذا قال ذلك فيما يكتبه اهل ملته ودينه ، لانهم ينشرونه بين المسلمين فينفرونهم من النصارى ، ولا يغفل عن هذا او يتغافل عنه الا الغافل او المتعصب .

(٤) قال بعض [illegible] النصارى كلهم من الاجانب كلام بكاتبين والاجانب لا من [illegible] ان أبناء وطننا يردونا عليهم ، ونقول (اولا) ان هذا القول غير صحيح ، فكتاب (الهلالة) المسمى بضد اسمه تأليف رجل من متعصبي القبط وهو اقذر هذه الكتب واقبحها أدبا في الطعن في نبينا صلى الله عليه وسلم ، وكتاب ابحاث المجتهدين مؤلفه سوري ، بل اقول ان اكثر تلك الكتب والرسائل والصحف الطاعنة في الاسلام يكتبها أجراء المبشرين من الوطنيين او يترجمونها اذ لا يكاد يوجد في أولئك الاجانب من يحسن الكتابة العربية ، وانما ينشرها الاجانب لان لديهم أموالا كثيرة مرصدة لذلك من اهل بلادهم الذين يقول لنا ابناء وطننا انهم هم البرآء من التعصب الديني دون اهل الشرق !! ولان لهم من الامتيازات والنفوذ السياسي ما يحميهم من سلطة الحكومة . ونحن نرى جمهور الوطنيين من ذنب أولئك الاجراء ولا نعده مانعا من الاتفاق بيننا وبينهم (وثانيا) اذا فرضنا ان هذا العدوان من الاجانب خاصة ، فهل من العدل ان يطالبنا نصارى بلادنا بأن لا نرد عليهم ، ولا نحذر عوامنا ونحول بينهم و بين افسادهم لعقائدهم ، لان دفاعنا عن ديننا يجرح عواطفهم الدينية ؟! أليس منتهى التعصب والسعي للعداوة والتفرق ان نطالب ابن وطنك بان يترك الدفاع عن دينه ، وتعليم اهله ما يصونهم عن الارتداد عنه ، أو عن فساد العقيدة الذي قلما تنتج دعوة المبشرين

غيره، وأن يرضى أن يكذب قرآنه ويشتم رسوله، إكراماً لخاطرك، ومراعاة لعواطفك؟

(٥) ان القاعدة الصحيحة المعقولة للاتفاق هي قاعدة المنار الذهبية التي دعا اليها المختلفين في المذاهب والاجناس من المسلمين، والمختلفين في الاديان والاجناس من العثمانيين. وهي « نتعاون على ما نتفق فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه » وقد شرحناها غير مرة ولكن كثيرا من الناس لا يحبون الوفاق، ومنهم اعوان المبشرين من الوطنيين، وبعض الكتاب والصحافيين، كالشيخ يوسف الخازن من نصارى السوريين، الذي وضع قاعدة للخلاف، ضد القاعدة التي وضعها للوفاق، وصرح بها في ملأ من أدباء نصارى السوريين كنت اكلمهم في وجوب السعي الى الوفاق والوحدة. فنخر من هذه الدعوة، وقال: اذا كان الخلاف بين مسلم ونصراني فأنا مع النصراني على المسلم كيفما كان - أي في الحق والباطل، واذا كان بين كاثوليكي وغير كاثوليكي فأنا مع الكاثوليكي مطلقا، واذا كان بين كاثوليكي ماروني وكاثوليكي غير ماروني فأنا مع الماروني مطلقا قال وكل الناس كذلك. فمثل هذا لا يعذر المسلمين في كلمة يخالفون فيها النصارى [illegible] ولو في كتبهم [illegible] الخاصة بهم انا على الحق والطاعن في ديننا على الباطل، ولذلك اقام النكير على المنار مرة لانه ذكر اسم المبشرين في [illegible] الافرنج كواخير البغاء وحانات الخمر [illegible] في بلادنا من غيرهم لان صاحب الحانة [illegible] الاسلام في امر واحد وهو السكر، والمبشر يحمله على ترك دينه كله، وزد على ذلك ان المبشرين هم الذين يوقدون نار العداوة بين المسلمين والنصارى ويفسدون المسلمين انفسهم بتشكيكهم في الدين الذي هو اساس الفضيلة والتقوى والوحدة والاتفاق. فمثل الشيخ يوسف الخازن من متعصبي النصارى السوريين، وبعض اصحاب الجرائد من متعصبي القبط، اشد سعيا في التفريق بين المسلمين والنصارى من المبشرين الاجانب، لانهم يبحثون عن كلمة يقولها مسلم في الدفاع عن دينه فيجردونها عن سببها والحامل عليها من الاعذار ويزفونها الى قومهم في صورة مشوهة وإضافات باطلة. وما يلغ المكروه الا من قبل

(٤) ان مجالنا في الرد على النصارى اضيق من مجالهم لاننا نؤمن بنبيهم المسيح ونعظمه ونعظم حوارييه، ونعد الطعن فيه كفرا وردة عن الاسلام (لا نفرق بين احد من رسله) وهم يطعنون بلا قيد ولا حد. فغاية ما يمكن ان يكتبه المسلم هو النقل من كتبهم الدينية او كتب احرار الاوربيين بشرط اظهار البراءة من كل ما لا يليق بكرامة المسيح اوغيره من انبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، والتصريح بأن نقل ما ذكر من باب (ناقل الكفر ليس بكافر) وانا لا احب لنفسي سلوك هذه الطريقة. وهي التي اضطر اليها بعض من كتب في المنار، وكتابة الشيخ من

هذا الباب، وانني حبا في النزاهة والادب، وكراهة للشعريات في المناظرة والجدل، عملا بقوله تعالى (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن) قد نقحتها ، فاذا كان قد بقي فيها كلمة شاذة ككلمة الثالوث الزناني في سياق قصة ولادة سليمان عليه السلام ، فانما ذلك من السهو الذي يظهر بما تبين من سببه ، وهو ان الكاتب جعل عنوان مقالته (الثالوث الزناني المقدس) وصدر الكلام في كل قصة من القصص الثلاث التي نقلها من التوراة بقوله (الاقنوم الاول من الثالوث الزناني المقدس) الخ وكان يختمها بمثل هذه الكلمة ، ويكررها في أثناء العبارة ، فرمجنا (شطبنا) كل هذه الكلمات لان فيها امتهانا لاصطلاحات محترمة ، وغرضنا من تحذير عوام المسلمين من الاستجابة للمبشرين لا يتوقف على ذلك ، ولا هو مما ترضاه آدابنا ، وجعلنا مكان كلمة الاقنوم كلمة الجد ، وحذفنا لفظ الثالوث من العناوين ومن تضاعيف الكلام ، واتفق اننا لم نقرأ تلك الاوراق في وقت واحد لكثرة الشواغل وضيق وقتنا عنها ، ولذلك جعلنا في القصة الثالثة لفظ (الشاهد) بدل (الجد) وبقي في آخرها كلمة « الثالوث الزناني » على انني اذكر جيدا انني حذفت هذه العبارة التي كانت في العنوان الاول وتكررت في الكلام . فلا ادري [illegible] كان ترميجها (شطبها) غير ظاهر فجمعت حروفها ، ام كنت قد نسيتها لانني قرأت تلك الورقة التي هي فيها وحدها ، ولهذا قلت فيها الشاهد [illegible] الذي شرحته ان هذه الكلمة قد بقيت في [illegible] الام العهد الذكري ، اي الثالوث الذي تقدم ذكره [illegible] حتى راجعت ورأيتها بعيني . وقد امتعضت امتعاضا شديدا ظهر علي وسئلت عن سببه . فان من خلقي وغريزتي أن اتألم مما يقع مني مخالفا لمشربي ورأيي ، ولو سهوا او نسيانا . ولا أبالي بما ينتقده الناس اذا كنت اعتقد انه حق وصواب وغير خارج عن حدود الآداب .

ومثل هذا الغلط والسهو يقع كثيرا وفي هذا الجزء من المنار غلط في آية من القرآن غفلنا عنها . لاجل هذا قلت لمن نبهني ولغيره : انني أحب ان أتلافى هذا الخطأ بما يرضي المتألمين منه وادع لاهل الانصاف من النصارى اقتراح ما يرونه ويرضونه من اعتذار او انتقاد لما كتب ، او حذف الكراسة من المنار وطبع كراسة بدلها خالية من كل كلمة جارحة . وانما اقول في هذا قول المعتدلين البرآء من التعصب كالمكتير بك عمون وسامي افندي الجريديني من فضلاء المحامين السوريين . على ان هذه الكتابة يصح ان تعد ترضية للمنصفين ودليلا على اننا لم ننشر تلك العبارة عمدا . واما المتعصبون فلا يرضيهم منا الاخروجنا من ديننا . فلا زالوا ساخطين وقد سعوا مع بعض المبشرين من قبل لاقناع الوكالة البريطانية بالغاء المنار ومنع اصداره ظنا منهم بان الجو يخلو لهم ولغيرهم من اعداء الاسلام فلا يجرأ احد على الرد عليهم .

(٧) ان سبب نشر هذه المقالة والمعنى الذي اردنا ان يفهمه المسلمون منها وان

إيماننا بالمسيح والأنبياء أصح من إيمان المبشرين، وتكريمنا لهم خير من تكريمهم، فهم قد جمعوا فيما قالوه في المسيح عليه السلام بين الضدين فأطروه حتى اتخذوه ربا و إلها، وغلوا في نسبه لامه وأبيه الناموسي (لا الحقيقي) انه من نسل سليمان بن داود من سبط يهوذا وقد ثبت في العهد العتيق عندهم (لا عندنا) ان بعض أجداده في هذا النسب (الذي سرده متى ولوقا في الانجيلين) من اولاد الزنا . وثبت عن مقدسهم بولس أنه صار لعنة لاجلهم، ونحن المسلمين نقول انه عليه السلام اهل لكل كرامة وفضيلة، وانه من روح الله وآية منه، ولكن ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله، ونقول انه طاهر من نسب طاهر، فنحن ننقل ما نقلنا عن العهدين العتيق والجديد مما لا يسعهم إنكاره، لاقامة الحجة عليهم، و إعلاما لعامة اهل ديننا بأننا لسنا في حاجة الى من يدعونا الى الايمان به عليه السلام، بل نحن أحق بأن ندعوا هؤلاء الدعاة الى تبرئته من اللعنة ومن دنس النسب، كما نبرئ سائر الانبياء عليهم السلام مما لا يليق بهم، ونحثو التراب في فم من يزعم اننا نقول كلمة فيهم تشعر بتنقيصهم . قال الابوصيري رحمه الله في لاميته

وأبيك ما أعطى يهوذا غاية [illegible] تحصنة ولا مدلولا
ورموا بغير الحق [illegible] في [illegible] وفي راحيلا
ودعوا سليمان النبي بكافر واستهونوا افكا عليه مقولا

[illegible]

ان المسلمين [illegible] عليهم، والمنار الذي يرد عليهم يوزع على المسلمين أيضا ليحذرهم من الارتداد عن دينهم أو يحول دون شكهم فيه ، والمشتركون فيه من غير المسلمين يعدون على اصابع اليد ، فما يكبون بغير سخط الرأي العام الاسلامي ، ولذلك طفق المسلمون يؤلفون الجمعيات في مصر لمقاومتهم وما يكتبه المسلمون على كونه دفاعا لا يكاد يشعر العالم النصراني لانه يوزع على المسلمين دونهم ، الا اذا بحث عنه بعض المتعصبين من اصحاب الصحف او غيرهم . والمعلول يدوم بدوام علته . فنحن لا نترك الرد عليهم ما داموا يدعوننا الى دينهم قولا وكتابة و يتعرضون في خطبهم وكتبهم وصحفهم لديننا، فان تركوا تركنا ، وانما استمروا استمررنا ، ونلتزم الادب في العبارات بقدر فهمنا واجتهادنا، فمن كان ساعيا في منع ذلك باخلاص وحب للوفاق فليبدأ باسكات المبشرين عن ذكر كتابنا ونبينا واصول ديننا وفروعه ، ويبق لهم مجال واسع في الدعوة الى دينهم بذكر محاسنه وما عندهم من الدلائل عليه ، ومن لم يرضه منا الا ان نسكت لهم عن الطعن في ديننا والتنفير عنه والتحريف لنصوصه فلا زال ساخطا غاضبا حقدا ... الى ما شاء من لوازم تعصبه . ولعل سوء تأثير هؤلاء المبشرين سيضطر الحكومة والمحتلين الى وضع حد لهذا الامر إما بقانون أو بغير قانون، ولا نظن أن الانكليز يجبروننا على السكوت ويدعونهم يقولون كما يريدون

فصل (*)

فحينئذ يطلع منه على (المشهد الثاني عشر)

وهو مشهد الذل والانكسار، والخضوع والافتقار للرب جل جلاله، فيشهد في كل ذرة من ذراته الباطنة والظاهرة ضرورة تامة وافتقارا تاما الى ربه ووليه، ومن بيده صلاحه وفلاحه وهداه وسعادته، وهذه الحال التي تحصل لقلبه لا تنال العبارة حقيقتها، وانما تدرك بالحصول، فيحصل فيه كسرة خاصة لا يشبهها شيء، بحيث يرى نفسه كالاناء المرضوض تحت الارجل الذي لا شيء فيه، ولا به ولا منه، ولا فيه منفعة، ولا يرغب في مثله، وانه لا يصلح للانتفاع الا بجبر جديد من صانعه وقيمه، فحينئذ يستكثر في هذا المشهد ما من ربه اليه من الخير، ويرى انه لا يستحق قليلا منه ولا كثيرا، فأي خير ناله من الله استكثره على نفسه، وعلم أن قدره دونه، وأن رحمة ربه اقتضت ذكره به وسياقته اليه، واستقل ما من نفسه من الطاعات لربه، ورآها ولو ساوت طاعات الثقلين من أقل ما ينبغي لربه عليه، واستكثر قليل معاصيه وذنوبه، فالكسرة التي حصلت لقلبه أوجبت له هذا كله، فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور! وما أدنى النصر والرحمة والرزق منه! وما أنفع هذا المشهد له وأجداه عليه! وذرة من هذا ونفس منه أحب الى الله من طاعات أمثال الجبال من المدلين المعجبين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم

وأحب القلوب الى الله سبحانه قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة، وملكته هذه الذلة، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه لا يرفع رأسه اليه حياء وخجلا من الله. قيل لبعض العارفين: أيسجد القلب؟ قال: نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها الى يوم اللقاء. فهذا سجود القلب، فقلب لا تباشره هذه الكسرة فهو غير ساجد السجود المراد منه. واذا سجد القلب لله هذه السجدة العظمى سجدت معه جميع الجوارح، وعنا الوجه حينئذ للحي القيوم، وخشع الصوت والجوارح كلها، وذل العبد وخضع واستكان، ووضع خده على عتبة العبودية،

(*) تابع لما نشر في ص ١١٣ من المجلد السابع عشر

ناظرا بقلبه الى ربه ووليه نظر الذليل الى العزيز الرحيم ، فلا يرى الا متملقا لربه خاضعا له ، ذليلا مستعطفا له ، يسأله عطفه ورحمته ، فهو يترضى ربه كما يترضى المحب الكامل المحبة محبوبه المالك له ، الذي لاغنى له عنه ، ولا بد له منه ، فليس له هم غير استرضائه واستعطافه ، لانه لاحياة له ولا فلاح الا في قربه ورضاه عنه ، ومحبته له ، يقول : كيف أغضب من حياتي في رضاه ؟ وكيف أعدل عمن سعادتي وفلاحي وفوزي في قربه وحبه وذكره ؟

وصاحب هذا المشهد يشهد نفسه كرجل كان في كنف أبيه يغذوه بأطيب الطعام والشراب واللباس ، ويربيه أحسن التربية ، ويرقيه في درجات الكمال أتم ترقية ، وهو القيم بمصالحه كلها ، فبعثه أبوه في حاجة له فخرج عليه في طريقه عدو فأسره وكتفه وشده وثاقا ، ثم ذهب به الى بلاد الأعداء فسامه سوء العذاب ، وعامله بضد ما يكون أبوه يعامله به ، فهو يتذكر تربية والده وإحسانه اليه الفينة بعد الفينة ، فيهيج من قلبه لواعج الحسرات كلما رأى حاله ، ويتذكر ما كان عليه ، وكل ما كان فيه . فبينا هو في أسر عدوه يسومه سوء العذاب ، ويريد نحره في آخر الامر ، اذ حانت منه التفاتة الى نحو ديار أبيه ، فرأى أباه منه قريبا ، فسعى اليه ، وألقى نفسه عليه بين يديه ، يستغيث يا أبتاه يا أبتاه يا أبتاه ! أنظر الى ولدك وما هو فيه ، ودموعه تستبق على خديه قد اعتنقه والتزمه ، وعدوه في طلبه ، حتى وقف على رأسه وهو ملتزم لوالده ممسك له . فهل تقول ان والده يسلمه مع هذه الحال الى عدوه ويخلي بينه وبينه ؟ فما الظن بمن هو أرحم بعبده من الوالد بولده ، ومن الوالدة بولدها ؟ اذ فر اليه ، وهرب من عدوه اليه ، وألقى نفسه طريحا ببابه ، يمرغ خده في ثرى أعتابه ، باكيا بين يديه يقول : يارب ! يارب ! ارحم من لاراحم له سواك ، ولا ناصر له سواك ، ولا مؤوي له سواك ، ولا مغيث له سواك ، مسكينك وفقيرك وسائلك ومؤملك ومرجيك ، لاملجأ له ولا منجا له منك الا اليك ، أنت معاذه ، وبك ملاذه

يامن ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره
لايجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

﴿ فصل ﴾

فاذا استبصر في هذا المشهد ، وتمكن من قلبه ، وباشره وذاق طعمه وحلاوته ، ترقى منه الى (المشهد الثالث عشر) وهو الغاية التي شمر اليها السالكون ، وأمها القاصدون ، ولحظ اليها العاملون

وهو مشهد العبودية والمحبة والشوق الى لقائه والابتهاج به ، والفرح والسرور به ، فتقرّ به عينه ، ويسكن اليه قلبه ، وتطمئن اليه جوارحه ، ويستولي ذكره على لسان محبه وقلبه ، فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية ، وارادات التقرب اليه والى مرضاته ، مكان ارادة معاصيه ومساخطه ، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات ، مكان حركاتها بالمعاصي ، قد امتلأ قلبه من محبته ، ولهج لسانه بذكره وانقادت الجوارح لطاعته ، فان هذه الكسرة الخاصة لها تأثير عجيب في المحبة لا يعبر عنه .

ويحكى عن بعض العارفين قال : دخلت على الله من ابواب الطاعات كلها فما دخلت من باب الا رأيت عليه الزحام فلم أتمكن من الدخول ، حتى جئت باب الذل والافتقار فاذا هو أقرب باب اليه وأوسعه ولا مزاحم فيه ولا معوق ، فما هو الا ان وضعت قدمي في عتبته فاذا هو قد أخذ بيدي وأدخلني عليه . وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : من اراد السعادة الابدية ، فليلزم عتبة العبودية .
وقال بعض العارفين : لا طريق أقرب الى الله من العبودية ، ولا حجاب اغلظ من الدعوى ، ولا ينفع مع الاعجاب والكبر عمل واجتهاد ، ولا يضر مع الذل والافتقار بطالة ، يعني بعد فعل الفرائض .

والقصد ان هذه الذلة والكسرة الخاصة تدخله على الله ، وترميه على طريق المحبة ، فيفتح له منها باب لا يفتح له من غير هذه الطريق ، وان كانت طرق سائر الاعمال والطاعات تفتح للعبد ابوابا من المحبة ، لكن الذي يفتح منها من طريق الذل والانكسار والافتقار وازدراء النفس ، ورؤيتها بعين الضعف والعجز والعيب والنقص والذم ، بحيث يشاهدها ضيعة وعجزا وتفريطا وذنبا وخطيئة ، نوع آخر وفتح آخر .

والسالك بهذه الطريق غريب في الناس . هم في واد وهو في واد . وهي تسمى طريق الطير ، يسبق النائم فيها على فراشه السعاة فيصبح وقد قطع الركب ،

بينا هو يحدثك واذا به قد سبق الطرف وفات السماء . فالله المستعان وهو خير الغافرين . وهذا الذي حصل له من آثار محبة الله له وفرحه بتوبة عبده ، فانه سبحانه يحب التوابين ويفرح بتوبتهم أعظم فرح واكمله ، فكلما طالع العبد منه سبحانه عليه قبل الذنب وفي حال مواقعته وبعده ، وبره به وحلمه عنه واحسانه اليه . هاجت من قلبه لواعج محبته والشوق الى لقائه ، فان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها ، واي احسان أعظم من احسان من يبارزه العبد بالمعاصي ، وهو يمده بنعمه ويعامله بألطافه ، ويسبل عليه ستره ، ويحفظه من خطفات أعدائه المترقبين له ادنى عثرة ينالون منه بها بغيتهم ، ويردهم عنه ويحول بينهم وبينه ، وهو في ذلك كله بعينه يراه ويطلع عليه ، فالسماء تستأذن ربها ان تحصبه ، والارض تستأذنه ان تخسف به ، والبحر يستأذنه ان يغرقه ، كما في مسند الامام احمد عن النبي صلى الله عليه وسلم «ما من يوم الا والبحر يستأذن ربه ان يغرق ابن آدم ، والملائكة تستأذنه ان تعاجله وتهلكه (١) والرب تعالى يقول : دعوا عبدي فأنا أعلم به اذ أنشأته من الارض ، ان كان عبدكم فشأنكم به ، وان كان عبدي فمني الى عبدي ، وعزتي وجلالي إن أتاني ليلا قبلته ، وان أتاني نهارا قبلته ، وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، وان مشى اليّ هرولت اليه ، وان استغفرني غفرت له ، وان استقالني أقلته ، وان تاب الي تبت عليه . من اعظم مني جودا وكرما وانا الجواد الكريم ? عبيدي يبيتون يبارزونني بالعظائم ، وانا أكلؤهم في مضاجعهم ، وأحرسهم على فرشهم ، من اقبل اليّ تلقيته من بعيد ، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد ، ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد ، ومن اراد مرادي ردت ما يريد ، أهل ذكري أهل مجالستي ، واهل شكري أهل زيادتي ، واهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا اقنطهم من رحمتي ، ان تابوا اليّ فأنا حبيبهم ، وان لم يتوبوا فانا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب ، لاطهرهم من المعايب »

(١) لعل المراد ان الانسان عرضة للهلاك في البر والبحر بجهله وخطاياه ، لولا عناية الله به وتسخيره هذه المخلوقات له . والكلام من لسان الحال ، قد يكون أفصح من لسان المقال

﴿ نموذج آخر من الكتاب ﴾

في بعض منازل السير الى الله تعالى

فيا تقدم هو نظر الصوفية في المعصية، واختلاف مشاهد أصناف الناس فيها بين من يعتبر و يندم ويزداد بعدها صلاحا ، ومن يرى انه مجبور ومعذور بالقدر ، ومن يرى انه مؤد لحق الطبيعة ووظائف الاعضاء الخ والذلك جاء كله في مباحث التوبة . واما هذا النموذج فهو من نظرهم في سير السالكين الى الله تعالى أي الى معرفته العليا وما لهم من المنازل في طريقهم

﴿ فصل ﴾

ثم ينزل القلب منزل الاعتصام وهو نوعان : اعتصام بالله ، واعتصام بحبل الله . قال الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال (واعتصموا بالله هو مولاكم، فنعم المولى ونعم النصير) والاعتصام افتعال من العصمة وهو التمسك بما يعصمك و يمنعك من المحذور والمخوف ، فالعصمة الحمية ، والاعتصام الاحتماء ، ومنه سميت القلاع العواصم ، لمنعها وحمايتها . ومدار السعادة الدنيوية والاخروية على الاعتصام بالله ، والاعتصام بحبله ، ولا نجاة الا لمن تمسك بهاتين العصمتين .

فاما الاعتصام بحبله فانه يعصم من الضلالة ، والاعتصام به يعصم من الهلكة، فان السائر الى الله كالسائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج الى هداية الطريق والسلامة فيها ، فلا يصل الى مقصده الا بعد حصول هذين الأمرين له ، فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة ، وان يهديه الى الطريق ، والعدة والقوة والسلاح بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتها ، فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل ، والاعتصام بالله يوجب له القوة والعدة والسلاح والمادة التي يستلئم بها في طريقه ، ولهذا اختلفت عبارات السلف في الاعتصام بحبل الله بعد إشارتهم كلهم الى هذا المعنى ، فقال ابن عباس : تمسكوا بدين الله . وقال ابن مسعود : هو الجماعة . وقال : عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي أمر به ، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة ، خير مما تحبون في الفرقة . وقال مجاهد وعطاء : بعهد الله . وقال قتادة والسدي وكثير

من أهل التفسير : هو القرآن . قال ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان هذا القرآن هو حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، وعصمة من تمسك به ، ونجاة من تبعه » وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن « هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تختلف به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تشبع منه العلماء » وقال مقاتل : بأمر الله وطاعته ، ولا تفرقوا كما تفرقت اليهود والنصارى . وفي الموطأ من حديث مالك عن سهيل بن أبي صالح عن ابيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا : يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، وان تناصحوا من ولاه الله امركم . ويسخط لكم قيل وقال ، واضاعة المال ، وكثرة السؤال » رواه مسلم في الصحيح

قال صاحب المنازل : « الاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعته مراقبا لأمره » ويريد بمراقبة الامر القيام بالطاعة لأجل ان الله أمر بها وأحبها ، لا لمجرد العادة أو لعلة باعثة سوى امتثال الامر ، كما قال طلق بن حبيب في التقوى : هي العمل بطاعة الله على نور من الله ، نرجو ثواب الله ، وترك معصية الله على نور من الله ، نخاف عقاب الله . وهذا هو الايمان والاحتساب المشار اليه في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كقوله « من صام رمضان إيمانا واحتسابا ـ ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا ـ غفر له » فالصيام والقيام هو الطاعة ، والايمان مراقبة الامر (١) واخلاص الباعث هو ان يكون الايمان الآمر (٢) لا شيء سواه . والاحتساب رجاء ثواب الله ، فالاعتصام بحبل الله يحمي من البدعة وآفات العمل والله أعلم

(١) ضبط في نسختنا الآمر بصيغة اسم الفاعل وفي نسخة أخرى الامر بصيغة المصدر وهي الموافقة لقول صاحب المنازل والمعنى ، فاخترناها (٢) لم يوضع لهذه في نسختنا علامة المد ، وفي نسخة لآمر ، والصواب ما اخترناه ، أي ان هذه هي التي يجب ان تكون اسم فاعل معرف والاولى هي المصدر .

﴿ فصل ﴾

وأما الاعتصام به فهو التوكل عليه، والامتناع به، والاحتماء به، وسؤاله ان يحمي العبد ويمنعه ويعصمه ويدفع عنه، فان ثمرة الاعتصام به هو الدفع عن العبد، والله يدفع عن الذين آمنوا، فيدفع عن عبده المؤمن اذا اعتصم به كل سبب يفضي الى العطب، ويحميه منه، فيدفع عنه الشبهات والشهوات وكيد عدوه الظاهر والباطن، وشر نفسه. ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقادها، بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه، فتفقد في حقه أسباب العطب فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها، ويدفع عنه قدره بقدره، وارادته بارادته، ويعيذه به منه.

فصل

وأما صاحب المنازل فقال ﴿ الاعتصام هو الترقي عن كل موهوم ﴾ الموهوم عنده ما سوى الله تعالى. والترقي عنه الصعود من شهود نفعه وضره، وعطائه ومنعه وتأثيره، الى الله تعالى وحده إشارة الى الفناء، ويراد به الصعود عن شهود ما سوى الله الى الله. والكمال في ذلك الصعود عن ارادة ما سوى الله الى ارادته. والاتحادي يفسره بالصعود عن وجود ما سواه الى وجوده، بحيث لا يرى لغيره وجودا البتة، ويرى وجود كل موجود هو وجوده، فلا وجود لغيره الا في الوهم الكاذب عنده.

قال ﴿ وهو على ثلاث درجات : اعتصام العامة بالخبر استسلاما وإذعانا بتصديق الوعد والوعيد، وتعظيم الأمر والنهي، وتأسيس المعاملة على اليقين والانصاف ﴾ يعني أن العامة اعتصموا بالخبر الوارد عن الله استسلاما من غير منازعة، بل ايمانا واستسلاما، وانقادوا الى تعظيم الأمر والنهي والإذعان لهما، والتصديق بالوعد والوعيد، وأسسوا معاملتهم على اليقين، لا على الشك والتردد(١) وسلوك طريقة الاحتياط كما قال القائل :

زعم المنجم والطبيب كلاهما   لا تبعث الاجساد قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر   أو صح قولي فالخسار عليكما

(١) وفي نسخة : لا على شك والترديد . ولعله وتردد

هذه طريق أهل الريب والشك، يقومون بالامر والنهي احتياطا، وهذه الطريق لا تنجي من عذاب الله ولا يحصل لصاحبها السعادة ولا توصله الى المأمن .

وأما الانصاف الذي أسسوا معاملتهم عليه، فهو الانصاف في معاملتهم لله ولخلقه . فأما الانصاف في معاملة الله، فأن يعطي العبودية حقها، وأن لا ينازع ربه صفات الربوبية التي لا تليق بالعبد ولا تنبغي له، من العظمة والكبرياء والجبرية. ومن انصافه لربه ان لا يشكر سواه على نعمه وبشاه، ولا يستعين بها على معاصيه، ولا يحمد على رزقه غيره، ولا يعبد سواه، كما في الاثر الالهي «اني والجن والانس في نبإ عظيم: أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي» وفي أثر آخر «ابن آدم ما أنصفتني، خيري اليك نازل، وشرك الي صاعد، أتحبب اليك بالنعم، وأنا غني عنك، وتتبغض الي بالمعاصي وأنت فقير الي، ولا يزال الملك الكريم يعرج الي منك بعمل قبيح» وفي أثر آخر «يا ابن آدم: ما من يوم جديد الا يأتيك من عندي رزق جديد، وتأتي عنك الملائكة بعمل قبيح، تأكل رزقي وتعصيني، وتدعوني فأستجيب لك، وتسألني فأعطيك، وأنا أدعوك الى جنتي فتأبى ذلك، وما هذا من الانصاف» وأما الانصاف في حق العبد فأن يعاملهم بمثل ما يحب أن يعاملوه به . ولعمر الله هـذا الذي ذكر أنه اعتصام العامة هو اعتصام خاصة الخاصة (١) في الحقيقة، ولكن الشيخ ممن رفع له علم الفناء فشمر اليه، فلا تأخذه فيه لومة لائم، ولا يرى مقاما أجل منه .

﴿ فصل ﴾

قال (واعتصام الخاصة بالانقطاع، وهو صون الارادة قبضا، واسبال الخُلُق عن الخلق بسطا، ورفض العلائق عزما، وهو التمسك بالعروة الوثقى) يريد انقطاع النفس عن اغراضها من هذه الوجوه الثلاثة، فيصون إرادته ويقبضها عما سوى الله سبحانه، وهذا شبيه بحال أبي يزيد فيما أخبر به عن نفسه لما قيل له: ماتريد؟ قال: أريد أن لا أريد

(١) وفي نسخة الخاصة

(الثاني) إسبال الخُلُق على الخلق بسطا ، وهذا حقيقة التصوف فانه كما قال ابو بكر الكتاني : التصوف خُلُق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . فان حسن الخُلُق وتزكية النفس بمكارم الاخلاق ، يدل على سعة قلب صاحبه ، وكرم نفسه وسجيته . وفي هذا الوصف يكف الاذى ويحمل الاذى ، ويوجد الراحة ، ويدير خده الايسر لمن لطم الايمن ، ويعطي رداءه لمن سلبه قميصه ، ويمشي ميلين مع من سخره ميلا (١) وهذا علامة انقطاعه عن حظوظ نفسه واغراضها .

وأما رفض العلائق عزما ، فهو العزم التام على رفض العلائق وتركها في ظاهره وباطنه ، والاصل هو قطع علائق الباطن ، فمتى قطعها لم تضره علائق الظاهر ، فمتى كان المال في يدك وليس في قلبك لم يضرك ولو كثر ، ومتى كان في قلبك ضرك ولو لم يكن في يدك منه شيء ، قيل للامام أحمد : أيكون الرجل زاهدا ومعه الف دينار ؟ قال : نعم على شريطة ألا يفرح اذا زادت ولا يحزن اذا نقصت . ولهذا كان الصحابة أزهد الأمة مع ما بأيديهم من الأموال . وقيل لسفيان الثوري : أيكون ذو المال زاهدا ؟ قال: نعم إن كان اذا ابتلي فيه شكر ، وان نقص شكر وصبر . وانما يحمد قطع العلائق الظاهرة في المواضع التي يخاف منها ضررا في دينه ، أو حيث لا يكون فيها مصلحة راجحة ، والكمال من ذلك قطع العلائق التي تصير

---

(١) قوله : وفي هذا الوصف الخ يريد به تزكية النفس ، وهو غير حسن الخلق فان التزكية تهذيب فهي مبدأ ، وحسن الخلق غاية . وفي طور التزكية والتهذيب يحسن ماذكره من العمل بوصايا الانجيل ، كقوله : من لطمك على خدك الايمن فأدر له الايسر . الخ ودين المسيح كله تمهيد لدين محمد عليهما السلام ، بل هما دين واحد جاء القسم الاول منه تمهيدا للثاني ، كما اخبر المسيح اصحابه بأنه لا يستطيع ان يقول لهم كل شيء ، وبشرهم بأنه سيأتي بعده البارقليط الذي يقول كل شيء من حقائق الدين . وهو محمد (ص) بدليل انه لم يجئ بعده نبي غيره ، وانه هو الذي بين كل شيء . وفصل بين السائرين الى الله تعالى بالتزكية والتهذيب وبين الواصلين اليه ، وبين فضيلتي العدل والاحسان وغير ذلك

كلاليب على الصراط تمنعه من العبور ، وهي كلاليب الشهوات والشبهات ، ولا يضره ما تعلق به بعدها .

﴿ فصل ﴾

قال (واعتصام خاصة الخاصة بالاتصال ، وهو شهود الحق تفريدا ، بعد الاستحذاء له تعظيما ، والاشتغال به قربا) لما كان ذلك الانقطاع ، موصلا الى هذا الاتصال ، كان ذلك للمتوسطين ، وهذا عنده لأهل الوصول ٠ ويعني بشهود الحق تفريدا ، أن يشهد الحق سبحانه وحده منفردا ولا شيء معه ، وذلك لفناء الشاهد في الشهود ، والموالاة في ذلك عند القوم على الكشف . وقد تقدم ان هذا ليس بكمال ، وان الكمال ان يفنى بمراده عن مراد نفسه . واما فناؤه بشهوده عن شهود ماسواه ، فدون هذا الفناء في الرتبة كما تقدم .

وأما قوله بعد الاستحذاء له تعظيما . فالشيخ قدس الله روحه لكثرة لهجه بالاستعارات عبر عن معنى القرب بلفظ الاستحذاء التي هي استفعال من المحاذاة ، وهي المقابلة التي لا يبقى معها حجاب من المحاذي خارجا عما حاذاه . بل قد

واجهه وقابله بكليته وجميع اجزائه . (١) ومراده بذلك القرب وارتفاع الوسائط المانعة منه ، ولا ريب ان العبد يقرب من ربه ، والرب يقرب من عبده ، فاما قرب العبد فكقوله تعالى (واسجد واقترب) وقوله في الاثر الالهي « من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا » وكقوله « وما تقرب اليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي » وفي الحديث الصحيح « أقرب

(١) هذا التفسير للاستحذاء لم نجده في معاجم اللغة كلسان العرب والقاموس وشرحه بل المعروف فيها أن معنى استحذى فلان فلانا ، طلب منه أن يلبسه حذاء ، كاستطعمه واستكساه ٠ واظن أن الاستخذاء في كلام الهروي بالخاء المعجمة وهو الخضوع والانكسار لله تعالى . وانما تكلف المصنف له هذا التفسير لأنه وجد نسخ المنازل تذكره الاستحذاء بالمهملة

ما يكون الرب من عبده في جوف الليل الأخير » وفي الحديث أيضا « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » وفي الحديث الصحيح لما ارتفعت أصواتهم بالتكبير مع النبي صلى الله عليه وسلم في السفر قال « يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم ، انكم لاتدعون أصمّ ولا غائبا ، ان الذي تدعونه سميع قريب ، أقرب الى أحدكم من عنق راحلته » فعبر الشيخ عن طلب القرب منه ورفض الوسائط الحائلة بينه وبين القرب المطلوب الذي لاتقربون عابديه وأوليائه الابه ، بالاستحضار . وحقيقته موافاة العبد الى حضرته وقدامه وبين يديه ، عكس حال من نبذه وراءه ظهريا ، واعرض عنه ونأى بجانبه ، بمنزلة من ولى المطاع ظهره ، ومال بشقه عنه .

وهذا الامر لايدرك معناه الا بوجوده وذوقه ، وأحسن مايعبر عنه بالعبارة النبوية المحمدية ، وأقرب عبارات القوم انه التقرب برفع الوسائط التي بارتفاعها يحصل للعبد حقيقة التعظيم ، فلذلك قال: الاستحضار له تعظيما ، ومن اراد فهم هذا كما ينبغي فعليه بفهم اسمه تعالى الباطن وفهم اسمه القريب ، مع امتلاء القلب بحبه ، ولهج اللسان بذكره ، ومن هاهنا يؤخذ الفيض الى الفناء الذي كان مشمرا اليه ، عاملا عليه ،

فان كان مشمرا الى الفناء المتوسط وهو الفناء عن شهود السوى ، لم يبق في قلبه شهود لغيره البتة ، بل تضمحل الرسوم وتفنى الاشارات ، ويفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ، وفي هذا المقام يجيب داعي الفناء طوعا ورغبة لا كرها ، لأن هذا المقام امتزج فيه الحب بالتعظيم مع القرب ، وهو منتهى سفر الطالبين لمقام الفناء

وان كان هذا مشمرا الفناء العالي ، وهو الفناء ، عن ارادة السوى ، لم يبق في قلبه مراد يزاحم مراده الديني الشرعي النبوي القرآني ، بل يتحد المرادان فيصير عين مراد الرب هو مراد العبد . وهذا حقيقة المحبة الخالصة ، وفيها يكون الاتحاد الصحيح . وهو الاتحاد في المراد لا في المريد ولا في الارادة . فتدبر هذا الفرقان في هذا الموضع الذي طالما زلت فيه اقدام السالكين ، وضلت فيه افهام الواجدين .

وفي هذا الباب (١) حقيقة بقي من لم يكن ارادة وإيثارا ومحبة وتعظيما وخوفا

---

(١) وفي نسخة « المقام »

ورجاء وتوكلا ، ويبقى من لم يزل . وفيه ترتفع الوسائط بين الرب والعبد حقيقة ، ويحصل (١) له الاستحذاء المذكور مقرونا بغاية الحب وغاية التعظيم . وفي هذا المقام يجيب داعي الفناء في المحبة طوعا واختيارا لا كرهاء بل بانجذابه انجذاب قلب المحب وروحه الذي قد ملأت المحبة قلبه ، بحيث لم يبق فيه جزء فارغ منها ، الى محبوبه الذي هو اكمل محبوب واجله واحقه بالحب . وهذا الفناء اوجبه الحب الكامل الممتزج بالتعظيم والاجلال والقرب ، ومحو ما سوى مراد المحبوب من القلب ، بحيث لم يبق في القلب الا المحبوب ومراده . وهذا حقيقة الاعتصام به وبحبله والله المستعان .

واما قوله: والاشتغال بقربها . أي يشغله قرب الحق عن كل ما سواه ، وهذا حقيقة القرب . ألا ترى ان القريب من السلطان جدا المقبل عليه المكلم له لا يشتغل بشيء سواه البتة ؟ فعلى قدر القرب من الله يكون اشتغال العبد به . والله اعلم .

﴿ فصل ﴾

ومن منازل اياك نعبد واياك نستعين (منزلة الفرار) قال الله تعالى (ففروا الى الله) وحقيقة الفرار الهرب من شيء الى شيء ، وهو نوعان : فرار السعداء وفرار الاشقياء . ففرار السعدا الفرار الى الله عز وجل ، وفرار الاشقيا الفرار منه لا اليه . واما الفرار منه اليه ففرار اوليائه . قال ابن عباس في قوله تعالى (ففروا الى الله) فروا منه اليه ، واعملوا بطاعته . وقال سهل بن عبد الله : فروا مما سوى الله الى الله . وقال آخرون : اهربوا من عذاب (٢) الله الى ثوابه بالايمان والطاعة .

وقال صاحب المنازل (هو الهرب مما لم يكن الى من لم يزل ، وهو على ثلاث درجات : فرار العامة من الجهل الى العلم عقدا وسعيا ، ومن الكسل الى التشمير جدا وعزما ، ومن الضيق الى السعة ثقة ورجاء) يريد بما لم يكن « الخلق » وبما لم يزل « الحق » وقوله : فرار العامة من الجهل الى العلم عقدا وسعيا ـ الجهل نوعان : عدم العلم بالحق النافع ، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه ، فكلاهما جهل لغة وعرفا وشرعا

(١) وفي نسخة « ويحصل » (٢) نسخة « عقاب »

وحقيقة . قال موسى (أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين) لما قال له قومه (أتتخذنا هزوا) أي المستهزئين (١) وقال يوسف الصديق (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) أي من مرتكبي ما حرمت عليهم . وقال تعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) قال قتادة : اجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل ما عصي الله به فهو جهالة . وقال غيره : أجمع الصحابة ان كل من عصى الله فهو جاهل . وقال الشاعر

ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وسمي عدم مراعاة العلم جهلا ، اما لانه لم ينتفع به فنزل منزلة الجهل ، واما لجهله بسوء ما تجني عواقب فعله . فالفرار المذكور هو الفرار من الجهلين ـ من الجهل بالعلم الى تحصيله اعتقادا ومعرفة و بصيرة ، ومن جهل العمل الى السعي النافع والعمل الصالح قصدا وسعيا .

قوله « ومن الكسل الى التشمير جدا وعزما » أي يفر من اجابة داعي الكسل الى داعي العمل والتشمير بالجد والاجتهاد . والجد هاهنا صدق العمل واخلاصه من شوائب الفتور ووعود التسويف والتهاون ، وهو تحت السين وسوف وعسى ولعل . فهي أضر شيء على العبد . وهي شجرة ثمرها الخسران والندامات .

والفرق بين الجد والعزم ان العزم صدق الارادة واستجماعها ، والجد صدق العمل وبذل الجهد فيه . وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتلقي أوامره بالعزم والجد فقال (خذوا ما آتيناكم بقوة) وقال (وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة) وقال (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) أي بجد واجتهاد وعزم ، لا كمن يأخذ ما أمر به بتردد وفتور .

وقوله « ومن الضيق الى السعة ثقة ورجاء » يريد هروب العبد من ضيق صدره بالهموم والغموم والاحزان والمخاوف التي تعتريه في هذه الدار من جهة نفسه ، وما هو خارج عن نفسه مما يتعلق بأسباب مصالحه ومصالح من يتعلق به ، وما يتعلق بماله وبدنه وأهله وعدوه ، ـ يهرب من ضيق صدره بذلك كله الى سعة فضاء الثقة

(١) تفسير للجاهلين

بالله تبارك وتعالى ، وصدق التوكل عليه وحسن الرجاء لجميل صنعه به ، وتوقع المرجو من لطفه وبره . ومن أحسن كلام العامة قولهم : لاهم مع الله . قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) قال الربيع بن خثيم : يجعل له مخرجا من كل ماضاق على الناس . وقال أبو العالية : مخرجا من كل شدة . وهذا جامع لشدائد الدنيا والآخرة ومضايق الدنيا والآخرة . فان الله يجعل المتقي من كل ماضاق على الناس واشتد عليهم في الدنيا والآخرة مخرجا . وقال الحسن : مخرجا مما نهاه عنه ، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافي من يثق به في نوائبه ومهماته ـ يكفيه كل ما أهمه . والحسب الكافي « حسبنا الله » كافينا الله . وكلما كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له صادق التوكل عليه ، فان الله لا يخيب أمله فيه ألبتة . فانه سبحانه لا يخيب أمل آمل ، ولا يضيع عمل عامل . وعبر عن الثقة وحسن الظن بالسعة ، فانه لا أشرح للصدر ولا أوسع له بعد الايمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به

قال (وفرار الخاصة من الخبر الى الشهود ، ومن الرسوم الى الاصول ، ومن الحظوظ الى التجريد) يعني انهم لا يرضون ان يكون ايمانهم عن مجرد خبر حتى يترقوا منه الى مشاهدة المخبر عنه ، فيطلبون الترقي من علم اليقين بالخبر ، الى عين اليقين بالشهود ، كما طلب ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ذلك من ربه اذ قال (رب أرني كيف تحيي الموتى ، قال : أولم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبي) فطالب ابراهيم ان يكون اليقين عيانا ، والمعلوم مشاهدا . وهذا هو المعنى الذي عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالشك في قوله « نحن احق بالشك من ابراهيم » حيث قال « رب أرني كيف تحيي الموتى » وهو صلى الله عليه وسلم لم يشك ولا ابراهيم حاشاهما من ذلك . وانما عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة . هذا احد الأقوال في الحديث . وفيه قول ثان انه على وجه النفي ، اي لم يشك ابراهيم حيث قال ما قال ، ولم نشك نحن . وهذا القول صحيح أيضا . اي لو كان ما طلبه للشك لكنا نحن احق به

منه ، لكن لا يطلب ما طلب شكا ، وانما طلبه طمأنينة .

فالمراتب ثلاث : علم يقين يحصل عن الخبر ، ثم يتجلى (1) حقيقة المخبر عنه للقلب أو البصر حتى يصير العلم به عين يقين ، ثم يباشره ويلابسه فيصير حق يقين ، فعلمنا بالجنة والنار الآن علم يقين ، فاذا أزلفت الجنة للمتقين في الموقف ، وبرزت الجحيم للغاوين ، وشاهدوها عيانا ، كان ذلك عين يقين ، كما قال تعالى (لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين) فاذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فذلك حق اليقين . وسنزيد ذلك ايضاحا ان شاء الله تعالى اذا انتهينا اليه .

واما قوله « ومن الرسوم الى الاصول » يريد بالرسوم ظواهر العلم والعمل ، وبالاصول حقائق الايمان ومعاملات القلوب واذواق الايمان وارداته ، فيفر من إحكام العلم والعمل الى خشوع السر والعرفان ، فان أرباب العزائم في السير لا يقنعون برسوم الاعمال وظواهرها ، ولا يقنعون الا بأرواحها وحقائقها ، وما يثبت لهم التصرف الالهي وهو نصيبهم من الامر ، والتصرف الالهي لا يقتضي مفارقة الامر كما يظن [illegible] منهم حقائق الامر واسرار العبودية [illegible] مراد المتكلم من كلامه تصريحا وإيماء وتنبيها واشارة . وحظ غيرهم منه حظ التالي له حفظا بلا فهم ولا معرفة لمراده ، وهؤلاء احوج شيء الى الأمر لأنهم لم يصلوا الى تلك التصرفات والحقائق الالهية ، فالمحافظة عليه لهم علما ومعرفة وعملا وحالا ضرورية لا عوض لهم عنه البتة .

وهذا القدر هو الذي فات الزنادقة وقطاع الطريق من المنتسبين الى طريقة القوم ، فانهم لما علموا أن حقائق هذه الاوامر هي المطلوبة ارواحها ، لا صورها واشباحها ورسومها ، قالوا : نجمع همنا على مقاصدها وحقائقها ، ولا حاجة لنا الى رسومها وظواهرها ، بل الاشتغال برسومها اشتغال عن الغاية بالوسيلة ، وعن المطلوب لذاته بالمطلوب لغيره . وغرهم ما رأوا فيه الواقفين مع رسوم الاعمال وظواهرها دون مراعاة حقائقها ومقاصدها وارواحها ، فرأوا نفوسهم أشرف من نفوس أولئك وهممهم اعلى ، وانهم المشتغلون باللب وأولئك بالقشر ، فتركب من تقصير هؤلاء

(1) لعلها تجلى بتائين ، وفي نسخة أخرى « تجلي » بتاء ونون

وعدوان هؤلاء تعطيل جملة الامر ـ هؤلاء عطلوا سره ومقصوده وحقيقته ، وهؤلاء عطلوا رسمه وصورته ، فظنوا انهم يصلون الى حقيقته ، من غير رسمه وظاهره ، فلم يصلوا الا الى الكفر والزندقة ، وجحدوا ما علم بالضرورة بمجيء الرسل (١) به . فهؤلاء كفار زنادقة منافقون ، وأولئك مقصرون غير كاملين . والقائمون بهذا وهذا هم الذين يرون أن الامر متوجه الى قلوبهم قبل جوارحهم ، وان على القلب عبودية في الامر كما على الجوارح ، وان تعطيل عبودية القلب بمنزلة تعطيل عبودية الجوارح وان كمال العبودية قيام كل من الملك وجنوده (٢) بعبوديته ، فهؤلاء خواص اهل الايمان ، واهل العلم والعرفان .

﴿ فصل ﴾

قوله « ومن الحظوظ الى التجريد » يريد الفرار من حظوظ النفوس على اختلاف مراتبها ، فانه لا يعرفها الا المعتنون بمعرفة الله ومراده وحقه على عبده ومعرفة نفوسهم وأعمالهم وآفاتها . [illegible] حظوظ لقوم آخرين يستغفرون الله منها و[illegible] . و بالجملة فالحظ ماسوى مراد الله الديني منك كائنا ما كان ، وهو ما يترجح حظ محرم الى مكروه الى مباح الى مستحب غيره احب الى الله منه ، ولا يتميز هذا الا في مقام الرسوخ في العلم بالله وامره ، وبالنفس وصفاتها واحوالها . فهناك يتبين له الحظوظ من الحقوق ، ويفر من الحظ الى التجريد . واكثر الناس لا يصلح لهم هذا لانهم انما يعبدون الله على الحظوظ وعلى مرادهم ، واما تجريد عبادته على مراده من عبده :ـ

فتلك منزلة لم يعطها احد سوى نبي وصديق من البشر
والزهد زهدك فيما ليس زهدك في ماقد أبيح لنا في محكم السور
والصدق صدقك في تجريده وكذا(م) الاخلاص تخليصها ان كنت ذا بصر
كذا توكل ارباب البصائر في تجريد أعمالهم من ذلك الكدر
كذاك توبتهم منها فهم ابدا في توبة او يصيروا داخل الحفر

(١) وفي نسخة الرسول (٢) يريد بالملك القلب وبجنوده الاعضاء

وبالجملة فصاحب هذا التجريد لا يقنع من الله بأمر يسكن اليه دون الله ، ولا يفرح بما حصل له دون الله ، ولا يأسى على ما فاته سوى الله ، ولا يستغني برتبة شريفة وان عظمت عنده او عند الناس ، فلا يستغني الا بالله ، ولا يفتقر الا الى الله ، ولا يفرح الا بموافقته لمرضاة الله ، ولا يحزن الا على ما فاته من الله ، ولا يخاف الا من سقوطه من عين الله ، واحتجاب الله عنه ، فكله بالله ، وكله لله ، وكله مع الله ، وسيره دائما الى الله ، قد رفع له علم فشمر اليه ، وتجرد له مطالع باعمل عليه ، تناديه الحظوظ : الي ! وهو يقول : انما اريد من اذا حصل لي حصل لي كل شيء ، واذا فاتني فاتني كل شيء ، فهو مع الله مجرد عن خلقه ، ومع خلقه مجرد عن نفسه ، ومع الامر مجرد عن حظه — أعني الحظ المزاحم للامر ، واما الحظ المعين على الامر ، فانه لا يحطه تناوله عن مرتبته ، ولا يسقطه من عين ربه .

وهذا ايضا موضع غلط فيه من غلط من الشيوخ فظنوا ان ارادة الحظ تقدح في الارادة ، والتحقيق فيه ان الحظ حظان : حظ يزاحم الامر ، وحظ يوازر الامر فيعاونه الاول هو المذموم والثاني ... العبودية فهذا لون وهذا لون .

(تم النموذج بلفظه)

(المنار) : أرأيتم ايها المبشرون الذين تدعوننا الى النصرانية هذه المعارف العالية في الايمان ، والعلم بالله وبمزايا الانسان ، وهذه الفضيلة والكمال في الاسلام ؟ — هذا النموذج نقطة من بحر كلام علمائنا في منازل السالكين العارفين . أرأيتم من ارتقى في الدين الى الذروة العليا أيمكن اقناعه بأن النزول عنها الى الدرجات التي هي دونها ، خير له من البقاء على ارتقائه وكماله فيها ؟ أيرضى من هذا حظه من الدين والايمان أن يشغل خياله ولسانه بدم يسوع ، وصورة يسوع ، وتثليث يسوع ، وفداء يسوع ، الذي لا يعقل ؟ اما والله لو كان يسوع وتلاميذ يسوع ويوحنا الذي عمد يسوع ومسح رأسه ودعا له بالبركة ، ومعهم موسى واسرائيل وكل انبياء ابنائه احياء وخاتمهم محمد (عليهم الصلاة والسلام) بهذا القرآن لنا وسعهم الا اتباعه ، وقد كانوا كلهم على الحق والتوحيد الذي لبستموه بالتثليث والفداء فاربعوا على ظلعكم ، وادعوا الى دينكم البراهمة والبوذيين وامثالهم الذين كان لهم ثالوث كثالوثكم ، فأولئك لا يبعد ان ينتقلوا من ثالوث الى ثالوث . واما صاحب التوحيد الذي هو اكمل واعلى معارف البشر ، فلا يترك التوحيد الى ماهو دونه .

الاسلام يقاوم نفوذ النصرانية (*)

الاسلام في المستقبل سيكون نظير الدين الاسرائيلي يطبق نفسه على حاجات العصر الحديث ولا يدع النصرانية تغلبه وتسلبه ابناءه

(مقدمة المترجم)

ان نشوء الاسلام في المستقبل سيعيد تاريخ الدين اليهودي الحديث بدرجة مشابهة، فالمبشرون بالانجيل الذين لايزالون يتوهمون انضمام كل الاديان الى النصرانية لا تحقق احلامهم فيما يتعلق بالاسلام، لان الدين الاسلامي سيظل دينا قويا نشيطا نظير الدين اليهودي، ويطبق نفسه نظير الدين اليهودي على حاجات العصر المتغيرة

هذا هو رأي الدكتور (كر يستيان سنوك هرغرنج) الهولندي الذي قضى ربع قرن يدرس القضايا الاسلامية وشريعة الاسلام وفلسفته

ومما يقال عن هذا الاستاذ: انه اكثر من حوالي ونبي متعرض، فهو اعلم علماء عصره في الاسلام – لانه لا يعرف تاريخ الاسلام وشريعته وفلسفته معرفة دقيقة فقط، ولكنه قضى ربع قرن يدرس الاسلام من وجهة علاقته بالمؤسسات الدينية والسياسية الاخرى

وقد أرسلته جامعة ليدن في هولندا على نفقة الحكومة الى الولايات المتحدة للمرة الاولى ليلقي في امهات كلياتها العلمية اربع محاضرات في تاريخ درسه الاسلام، وقد فصل في هذه المحاضرات زيارته لمكة (مدينة الاسلام المقدسة) فانه قضى ثمانية أشهر ضمن اسوار تلك المدينة المسورة وكان فيها عضوا من عائلة رجل مسلم، فأتم هناك الفرائض الدينية التي كان يقوم بها يوميا مائتا الف من حجاج مكة، وشهد الجوامع هنالك وسمع المحاضرات التي لم يكن يسمعها في الزمن الماضي غير المسلمين. وكم من قصة رويت عن نصارى أضلوا الطريق ويهود مغامرين قتلوا في مكة لاتهامهم بأنهم تجرءوا على الدخول الى المدينة الاسلامية المقدسة؟ واذا لم تصدق هذه الاخبار فقد ثبت أن كثيرين من غير المسلمين طردوا من المدينة باهانة عندما ظهر أنهم غير مسلمين

(*) ألقى الدكتور (كريستيان سنوك هرغرنج) الهولندي في أمريكة محاضرة في حال المسلمين الدينية والاجتماعية ومستقبلهم لما ترجمتها بالعربية جريدة الهدى السورية التي تصدر في (نيويورك) ووضعت لها هذا العنوان وصدرتها بمقدمة في ملخص سيرة الدكتور. فنقلناها عنها مع تصحيح بعض الالفاظ لما فيها من الميل للمسلمين

ثم ان الدكتور هرغرونج ليس يعرف اللغة العربية فقط بل انه قبل ذهابه الى مدينة الاسلام المقدسة قضى عدة سنين يدرس التاريخ الاسلامي ، وكانت معرفته هذه للاسلام وسيلة استطاع بها ان يحافظ على تنكره مدة ثمانية اشهر قضاها في مكة ، و بلغ منه انه خدع الكلاب الشاردة التي تفرق المسلم عن غير المسلم لانها تعرفه بقوة الشم فتهاجمه وتفضح امره

وقد وضع الدكتور المذكور بعد اقامته في مكة فصلا فيها وفي تاريخها وحياتها العمومية الحاضرة يعتبر الكتابة الوحيدة التامة عن هذه المدينة المحببة

وليس اهتمام هذا الدكتور بالاسلام اهتمام طالب علم فقط ، فقد قضى سبع عشرة سنة في الهند الشرقية الهولندية مستشارا لحكومة هولندا في المسائل المتعلقة بادارة سكان الهند الشرقية الوطنيين ، واستطاع بدرسه الاسلام درسا عميقا واسعا ان يضع لهولندا السياسة التي تجري عليها مستعمراتها الاسلامية التي تحتوي على نحو من خمسة وثلاثين مليونا من اتباع النبي محمد

ومن مضي سبع سنين عاد الدكتور الى هولندا ليكون استاذ اللغتين العربية والسلافية في جامعة (ليدن) فقبل هذه الوظيفة على شرط ان يبقى مستشارا عموميا للحكومة في المسائل الاسلامية

وزيادة على ذلك اتيح له [illegible] البلاد الاسلامية والآن في خلال ربع قرن مضى يراقب الحركات العاملة على احداث تغيير ديني وسياسي في العالم الاسلامي كله ، ولذلك كانت صورته التي صور بها حالة الاسلام الحاضرة ، والطريقة التي جرى عليها في تتبع نشوءه في المستقبل ، امرين خارجين عن مألوف الذين يعتبرون ان الاسلام لا يزال بربريا في شكله الشرقي ، بل انه يرى ان الحواجز بين الشرق والغرب تتهدم بالتدريج تهدما يؤدي الى امتزاجهما السريع في خلال سنين تأتي

وقد القى هذا الدكتور محاضرة بالامس في جامعة كولومبيا في الاسلام هذا ما قاله فيها : —

﴿ محاضرة الدكتور هرغرنج في الاسلام ﴾

ان المدنية الاسلامية كانت في خلال الف سنة مضت ترتفع الى الدرجة الحاضرة النهائية ، فمن مضى الف سنة اعتقد المسلمون ان احوالهم الدينية راضية تمام الرضى ، وكان المعتقد الديني عندهم مسألة مقررة ، وكان السواد الاعظم من المسلمين

يقولون بعصمة الدين الاسلامي ويقبلون حقيقته المكشوفة بدون ريب ، بنظير اجماع النصارى على عصمة الكنيسة الكاثوليكية . وكانت للاسلام شرائع تتعلق بالحياة في كل اطوارها من شخصية وعمومية وفردية واجتماعية وعلى الجملة ان الاسلام كله قائم على استقلال المسلمين السياسي ، فقد كانوا في دائرتهم الخصوصية احرارا مستقلين اعتبروا العالم كله ملكا لهم ، فالذي لم يكن لهم كان عليهم ان يفتحوه ، وبذلك كان حكم السيف ممكنا اذا لم يكن محتملا ، ولكن ثبت استحالته في الالف سنة التي مضت . ففي خلال القرن الماضي تعرى الاسلام من استقلاله السياسي باعتداء الدول الاوروبية التدريجي عليه ، ونتج عن ذلك ان الاسلام اضطر ان يعدل آراءه واعماله ، وتأكد المسلمين انه يجب عليهم ان يحسبوا حسابا لما تفعله الامم الاخرى وتحصل عليه

وقد نجمت من هذه الحالة مسألتان ، الاولى منهما هي : هل يستطيع الاسلام الذي يرشد حياة تابعيه وأفكارهم ان يجاري هذا التغير عند ما يفقد استقلاله السياسي الذي قام عليه ؟

ان الذين درسوا القضايا الاسلامية استنتجوا ان القضايا الروحية ، متصلة تمام الاتصال بالقضايا الدنيوية [illegible] الاستقلال السياسي يستلزم سقوط الاسلام نفسه [illegible] عن هذا القول

اما المسألة الثانية فهي اهم من الاولى وهي : هل اذا كان الاسلام قادرا على احتمال ذلك التغير ـ كما اعتقد انه قادر ـ يقدر ان يطبق نفسه على قضايا الحياة الحديثة بطريقة يستطيع بها تابعوه بان يكونوا في مقدمة الصفوف في ارتقاء العالم ومدنيته ؟

هاتان هما المسألتان مع كل القضايا الاخرى المتفرعة عنهما ما اريد البحث فيه على مسامع الامريكيين ورجاء ان اوقف الغربيين على الانقلاب العظيم الجاري في العالم الشرقي ومجاري هذا الانقلاب

فشل محاولة تنصير المسلمين

والأمر الجوهري في هذا الشأن هو الوجه المنظور فيه الى قضية مستقبل الاسلام ، فاذا نظرتم اليها بعين المرسل النصراني الديني فلا بد انكم تستنتجون انه لا يرجى شيء كثير من نشوء الاسلام ، لان الاسلام قبل صيرورته كفؤا يجب عليه ان يفقد النصرانية اولا . ولكن هذا هو اسوأ رأي يعول عليه ، وانا مسرور بقولي : انه ليس رأيا شاملا ، فالمسلمون لا يقصدون ان يتنصروا ، وقد احتاطوا اعظم احتياط لهذا الامر الذي ادركه كل المبشرين النصارى المنتشرين في الاراضي الاسلامية ، ففي

الهند الشرقية الهولندية ـ حيث قضيت سبع عشرة سنة متصلا تمام الاتصال بالمؤسسات الاسلامية ـ لا يقدر الرسل النصراني الديني ان يرجع ناجحين فيها ، لم يوجد كثيرون من المدعوين مسلمين ولا سيما سكان داخلية البلاد الذين لم يتقبلوا اليوم دينا من الاديان ، وقد اتخذوا خلوة واحتفظوا بأوثانهم القديمة ، ولم يعد يصعب تنصيرهم . وفي بعض جهات جاوه حيث انتشرت الديانة الهندية سابقا لم يجد المرسلون النصارى صعوبة في تنصير قبائل برمتها

ولكن اكثر دعاة النصارى الدينيين في البلاد الاسلامية المحضة ـ حيث الاسلام تقليد قديم لادين يتدين به ـ يرون صعوبة كبرى في تنصير المسلمين ، وقد تحولوا عن التبشير بالمسيح الى التهذيب والاعانة ، وما داموا جارين في هذه الطريقة فالمسلمون مستعدون لقبول ما يقدمونه لهم

مثلا ان الذي تقدمه كلية روبرت الامريكية في الاستانة يفيد كل مسلم ، وقد كان للكلية المذكورة فضل كبير في [illegible] والطرائق التي يعتبرها المسلمون مثمرة التقدم . ولكن الكلية [illegible] مسلما واحدا عن معتقده

وقد حدثت [illegible] في الجرائد ولعرفي بتعصب [illegible] التبشيري الذي تقوم به الجمعيات الكاثوليكية الدينية المتحدة فقال : انه عمل ناجح ولكن لا ذكر البتة للدين فيه .

هذا وان هولندا تحكم على خمسة وثلاثين مليونا من المسلمين ولم تعد تفكر قط في هدايتهم وتنصيرهم ، وكل ما ادركناه هو حاجتنا الى تفاهم هؤلاء الناس الذين وكلت أمورهم الينا بحكم الحوادث التاريخية . وادركنا ان افضل شيء لتوجيههم هو تطبيق دينهم الخاص ومؤسساتهم الخاصة على حاجات العصر الحاضر

ولا اعتقد ابداً ان الدين الاسلامي يسقط امام النصرانية ، لان المسلم يحتاط اشد الاحتياط لمقاومة النفوذ النصراني ، فهو يعرف النصرانية التي ليست عنده شيئاً جديداً غير مألوف ، فقد عرف اساسها وطريقة نشوءها وهو يعتبرها ديناً قديماً بالنسوخ ، وأخيراً نسخه وحي النبي محمد خاتم الانبياء المرسلين اليهم ، وبالتالي انه يعتبر النصرانية شيئاً مضى ، ويرى تديّنه بها خطوة الى الوراء ، ومهما كان التغيير الذي يقع على الاسلام في ربع القرن الجاري او نصفه فانه لا يكون تغييراً يتناول التدين بالنصرانية ، اذ لا تدعو الضرورة في الاسلام الى هذا الاصلاح

اضعاف الاسلام بالتربية والتعليم

ولا يخفى ان كل من عاش في اراضي الاسلام لا ينكر انه حدث في النصف الاخير من القرن الماضي تغير عظيم ، فقد اشتدت حاجة المسلمين الى كل ما هو ضروري للاشتراك في الحياة الحديثة التي تبعث دخول الغزاة الغربيين الى الشرق ، ولم يعد المسلمون المتنورون اليوم يكتفون بالتربية الاسلامية القديمة، فهم يطلبون اطباء حديثين وكيمياء حديثة ، واحدث شيء في علم الحياة . وصاروا يطلبون دروساً اجتماعية في مدارسهم، واللغات الحديثة والفن الحديث، ولا يبالون من يقدم لهم هذه الاشياء اذا قدمت لهم في غير صبغة دينية

مرّ زمان كان فيه المسلم يعرف اخاه المسلم بالف طريقة مختلفة ـ كأخلاقه وطريقة معيشته ولباسه واكله ، ولكن كل هذه المميزات اخذت تزول بالتدريج، بل ان الميزة الوحيدة التي كان بها المسلم يقدر ان يعرف اخاه في الدين سيزيلها التهذيب والتعليم بقية معروفة من المقبوة [illegible]

وقد زالت عادات اسلامية قديمة كثيرة ، واصبح كثير منها آخذا الآن بالزوال، فزي اللباس الشائع [illegible] الصلوات الخمس الواجبة يومياً امراً [illegible] اليوم لن يصلي خمس مرات في اليوم بين شروق الشمس وغروبها [illegible] وهو مضطر ان يشتغل [illegible] ساعات في اليوم، بل انه لا يقدر ان يحافظ على مركزه في الصناعة المنظمة التي يضطر الى مزاولتها بالتدريج وبصوم سحابة النهار في شهر رمضان

وقد كانت هذه الامور قديماً شرائع لا بد من العمل بها . اما الآن فانها تصير اشياء لا يقدر ان يمارسها غير حجاج مكة والائمة المتصوفين، بل حدث تراخ في كل شيء . فقد ساد الاسلام في وقت من الاوقات، وتناولت سيادته التجارة ايضاً ، ولكن حفت به المشاكل بالتدريج . نعم ان ضمان الحياة لا يزال عند المسلمين شكلاً من اشكال المقامرة ، ولكن الربا في استثمار المال صار ممكنا باعتباره قسما من المقاولة الاصلية

درجة تأثير الافكار الاوربية في المسلمين

تغلغلت الافكار الاوربية في كل جهة من الاراضي الاسلامية ، ولكن لم يجد فيها الشعور الاوربي مركزا ولهذا اجرأ على القول بان المسلمين سيستمرون على دينهم مهما اتخذوا من التهذيب والمدنية الغربيين . ففي كل المدارس الاوربية الكبرى تجد كثيرين من الطلبة المسلمين، وهم من فئة المتنورين الذين بواسطتهم تحدث التغيرات

الاولى في الاسلام . وهؤلاء الشبان من أهل العلم في العالم ، فقد درسوا العلوم الغربية بفروعها اكثر خيرة طلبتنا الغربيين ، وهم لايقومون بكل الفرائض المطلوبة من المسلم الحقيقي ، لانهم مثلنا في طرائق اللباس والمأكل والمعيشة

ولكن مجرى عقلهم لا يزال اسلاميا ، فقد كان بين تلاميذي طلاب مسلمون ، وعندما كنت أتناول مباحثهم التي يكتبونها كنت أرى فيها مظاهر فكر اسلامي في شكل يخالف كل الاختلاف لما يكتبه طلبتي الآخرون ، بل كنت دائما أعرف الطالب المسلم من مباحثه .

ثم انك ترى موقف المسلمين المتنورين تجاه شريعتهم وعقيدتهم القديمتين نفس موقف المتنورين بين الاسرائيليين في العصر الحاضر ، وكلما عشت بين المسلمين ازددت اعتقادا ان الاسلام سيجري في نشوئه على الطريقة التي سلكها الدين الاسرائيلي في تاريخه الحديث .

ثم ان الضغط الشديد الذي وقع على الدين الاسرائيلي لم يقع على الاسلام . فتفرق الاسرائيليين بين امم الارض اضطرهم الى ان يطبقوا حياتهم على شرائع غير شرائعهم ، وكذلك اضطر المتنورون الى ان يمحوا القاعدة الكبرى من شرائعهم المسيطرة على حياة الفرد اليومية من جراء اتباع الاراضي التي احتلوها بالفتح ، والضوابط المتعددة التي اضطروا الى العمل بموجبها

الاسلام واليهودية

وبين الاسلام والدين الاسرائيلي تشابه عميق يزداد ظهورا في مخالطة المتنورين الاسرائيليين والمسلمين ، فالتوحيد هو قاعدة الدينين ، وليس الله تجاه خدامه في هذين الدينين الا مشترع يرى كل قسم من حياة الرجل يحتاج الى شريعة . ومن أجل ذلك صار درس الشريعة فيهما عاملا مهما . ولكن الوجه الحيالي في الدينين المذكورين انحط انحطاطا عظيما ، وأخذ يقتصر على القائمين ضمن جدران المدارس ، ولم تبق له علاقة قوية بحاجات الحياة العملية

وقد صار تفسير الشريعة في الدين الاسرائيلي منوطا بالحاخامين ، وماعدا بعض مراسيم دينية خارجية ترى أكثر المتنورين الاسرائيليين مكتفين بحفظ العقائد الاولية من دينهم ، أما عامة القوم فانهم يضيفون اليها طائفة من الخرافات القديمة

وترى الاسلام تاليا تلو الدين الاسرائيلي . خذ القرآن مثلا وانظر الى التغير الذي حدث في خلال ثلاثة عشر قرنا مضت على تأسيس الاسلام ، فالمسلم العربي المولد لا يقدر

ان يفهم آيات القرآن الا بعد درس طويل

ولا يخفى أن أكثر المسلمين يعتبرون القرآن كتابا مغلقا، فقد كان في وقت من الأوقات قوة اصلاحية في العالم، وكان يقرأه كل مؤمن وورع ، أما اليوم فان الائمة والطالبين يقرأونه بتجويد دون أن يتدبروا معناه ، حتى أن الكلمات التي يجودونها حجة عليهم في اشياء يفعلونها كل يوم حتى خلال التجويد

وسيقع أيضا تغيير على الشرائع والمؤسسات الاسلامية فيحل درسها بالتدريج محل ممارستها ، بالرغم من التقليد المقدس الذي يتعلق بان المعرفة بدون عمل لا فائدة منها وزد على ذلك ان الناشئة الاسلامية الناهضة لا تريد أن تكد ذهنها في درس الشريعة الاسلامية ، كما هي تتعب رأسها بتجويد الآيات القرآنية ، فان هذا الأمر سيقتصر على فئة خاصة من المسلمين، كما هو الحال عند الاسرائيليين في الوقت الحاضر

ولكن ترك العادات القديمة والاعتراف بعدم اتفاق الشريعة القديمة مع حاجات الحياة الحديثة لم يقم منها ان الاسرائيليين [illegible] ، وكذلك لا يقيم منها ان الاسلام سيتحطم . نعم ان بين المسلمين المتنورين اليوم [illegible] ولكن في صدورهم ميلا قويا الى التمسك [illegible] . بل ان المسلمين المتنورين اليوم لم [illegible] الى اتساع التساهل واتساع المعرفة التي تنتقل في كل جهة من جهات العالم الاسلامي

وهاهنا أمر آخر هو أن المسلم المتنور [illegible] مثل الاسرائيلي المتنور بالرابطة الروحية التي تربطه الى اخوته في الدين وهو لا يريد أن يقطع هذه الرابطة . نعم ان السواد الاعظم من المسلمين ــ ولاسيما حيث المدنية الأوربية لا تزال خفيفا ــ هم الآن حيث كانوا من مضي خمسمائة سنة ، وكذلك توجد فئة بين الاسرائيليين لا تزال تمارس شريعة لم تصدم بالحياة الحديثة بعد وقد كان تطبيق التقليد المقدس على حاجات المحيط المتغير ظاهراً بأجلى مظهره في الدين الاسرائيلي ، ولكن التشابه في نشوء الدينين الاسرائيلي والاسلامي يحمل الواحد على أن يتوقع للاسلام نفس ما وقع في الدين الاسرائيلي

ولا يمكن أن يقع انحطاط تدريجي في الاسلام، لانه توجد بواعث خارجية تمنعه ، فالاسلام قوي ولم يضعف لاسيما في القرن الماضي، وقلت فيه الانشقاقات الداخلية . وزد على ذلك أن الاسلام يربح أكثر من النصرانية تابعين له من الوثنيين ، فالذي يصير مسلما لا يطلب منه شيء كثير، اذ لا يوجد تعديس ولا طقس ديني ولا تعليم

طويل، فكل ما يطلب منه ان يعترف بالله أنه كلي القوة، ومن ثم يتدرج الى تعلم الفرائض الاسلامية الدينية، وعندما يصير مسلما يتغير مركزه الاجتماعي، ولكن اذا تنصر فانه يبقى دون غيره ويظل المرسل الديني غريبا ملما متنحيا عنه

الاسلام بمكة ومثلم عام المطلب »

ولكني باظهاري لكم هذه الصورة عن الاسلام والحوادث التي تدور بجواره لا اقول انه لا يوجد فيه كثير من التقاليد القديمة التي لا تصدق. ففي خلال الثمانية الاشهر التي قضيتها في مكة كنت احسبني مقيما في مدينة في القرن الثاني عشر او الثالث عشر. فهناك درست الشريعة الاسلامية بكل فروعها وكل اسرار الاسلام في الاشهر الثمانية التي كانت فيها المدينة غاصة بحجاجها البالغ عددهم مائتي الف

ولا توجد تجارة في مكة غير نهب الحجاج فان سكانها الوطنيين يسلبونهم كل ما يكون معهم من مال بالبيع المغبون

ولا شيء ادل على البداوة القديمة من مكة، فهى تمثل الاسلام في العصور القديمة فلا بيوت هناك. اما وسائل النور والحرارة والماء التي اعتدناها في العصر الحاضر فهي هناك كما كانت في العصور المظلمة. ولكن الذي لم يذهب الى مكة ولا أقام في بيت اسلامي فيها ودرس في جوامعها لا يقدر ان يفهم الاسلام، او يجد صعوبة شديدة في معرفة نشوء بلاد اسلامية

وقد كثر التحدث حينا بعد آخر عن مكة، انها ستفتح للعالم بالقوة، ولكني لا ارى شيئا يدل على ان انكلترا ستحاول فتح مكة، لانها اذا اقدمت على هذا الامر جلبت لنفسها اضطرابات كثيرة في الهند. ولذلك ستظل مكة عدة سنين مركز التقليد الاسلامي

وعلى الجملة اني اقول ان نشوء الاسلام في القرن الجاري لا يكون شيئا باعثا على الدهشة، بل سيكون طبقا للحركة العمومية التي تقرب بين الامم والاديان، دون زوال الاحترام للتقاليد الموروثة عن السلف، ولا بد للاسلام من الاتصال بالعالم الغربي وسيفعل ذلك، ولكن نقصه المعظم او النقطة التي يحتاج فيها اشد الاحتياج الى اتخاذ الافكار والمبادئ الاوربية هي موقفه تجاه نسائه، وقد اخذ يتساهل في موقفه نحوهن تساهلا بطيئا تدريجيا، فالاسلام لا يمكن ان يرتقي ارتقاء حقيقيا الا اذا حرر نساءه الراسفات في سلاسل التقاليد القديمة التي لا تنطبق على روح العصر الحديثة، التي هي روح الترقي الحقيقي ؟ اه

(المنار) : سنبين رأينا في هذه المحاضرة في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

اعتقاد الشيخية (*)

على ما نقل من كلامهم في كتبهم المعروفة الكاشفة عن اعتقاداتهم في مراتب اصول العقائد

(ففي مرتبة معرفة الذات) قالوا « إن الذات ذاتان » ذات غيبية باطنية لا اسم لها ولا وسم لها ، ولا تسمى ولا توصف ، ولا تكليف على العباد بمعرفتها وتوحيدها وعبادتها . وذات ظاهرة تسمى وتوصف ، وفي هذا القسم من الذات قالوا : أن المعرفة فرع ادراك المعروف ، والعبادة فرع ادراك المعبود ، فيجب أن يكون المعبود في صقع العارف والعابد ، حتى يعبد بجسمه جسم المعبود ، وبنفسه نفس المعبود ، وبعقله عقل المعبود ، وبفؤاده فؤاد المعبود . فهناك ذات ظاهرة معرفتها تسمى بمعرفة البيان ، وهي المتعلقة بها المعرفة والعبادة ، وهي في مقام النبوة نبي ، وفي مقام الامامة إمام ، وفي مقام الركنية ركن رابع . ولذا قالوا ان الخطاب في « إياك نعبد وإياك نستعين » الى النبي والامام

والركن الرابع صرح به الشيخ أحمد بن [illegible] الشهير بزين الدين [illegible] الاحسائي في رسائله الخطابية المطبوعة [illegible] والسيد كاظم الرشتي في شرح الخطبة ، والحاج كريم خان في [illegible]

وهذه المقالة دعتهم الى مصاحبتهم لصور مشايخهم ، وجعلها في محال سجودهم ، وقد اشتهروا بذلك بحيث لا يتمكنون من انكاره

(وفي مرتبة معرفة الصفات) قالوا : ان الاسماء والصفات للذات الظاهرة التي والامام والركن الرابع . وهي معرفتهم بالمعاني . وقالوا : ان الصفات كلها حادثة ، فالعالم بالاشياء بعلم حادث ، وقادر بقدرة حادثة ، وهكذا . وقالوا : ان الصفات متحدة في المفهوم كما هي متحدة في المصداق . وقالوا : نسبة الخلق والرزق اليه تعالى كفر . قال الخان الكرماني في ارشاده بالفارسية : پس هر كه بكويد ذات خداى تعالى خالق اشياء است باجماع مسلمانان ازضروريت دين بيرون رفته . وصرح بتمام ذلك ابن صقر في شرح العرشية ، والرسالة العلمية ، وشرح الزيارة ، والسيد الرشتي في شرح الخطبة

(وفي مرتبة معرفة الاسماء) قالوا ان الذات لا اسم لها ولا وسم لها . ويقولون في

(*) هم اتباع الشيخ احمد الاحسائي وهم كريم خان القاجار والسيد كاظم الرشتي وهم من غلاة الشيعة ابتدعوا فيها فلسفة جديدة خيالية ، كانت المنشأ لما هو شر منها وهو فتنة البابية والبهائية والأصل لذلك كله ضلالات قدماء الباطنية

قوله تعالى «ولله الاسماء الحسنى» يعني الربوبية الثانية في الذات الظاهرة. قال سيدهم في شرح الخطبة: ان الربوبية لها ستة مقامات (أحدها) رتبة الذات البحت التي لا اسم لها ولا رسم (الثانية) رتبة الذات الظاهرة التي هي مظهرة تلك الذات البحت (والثالثة) رتبة الذات في مقام يعبر عنها بهو (والرابعة) رتبة يعبر عنها بالله (والخامسة) رتبة يعبر عنها بسائر الاسماء (والسادسة) هي الرتبة الربوبية، السارية في العبودية، وأمثالها شيخه

وكثرها الخان الكرماني بغير حساب . قال في الارشاد: من نميكويم أنخدائيكه سابق مي رستند باطل بوده بلكه ميكويم او حق بوده وعبادتش درست بوده ولكن امروز چون شعور شما زياد شده بايد بدانيدكه ان خدا بوده بلكه بنده بوده واينكه امروز ميكويم اين خدا است وبعد از اين شعورها زياد بشود ميد انيدكه اين خدا نيست بلكه بنده ايست از بندكان خدا وخدا ديكريست .

وقال الشيخ أحمد في شرح الزيارة في تفسير الدعاء: أنت الله عماد السموات ـ يعني الحسن ابن علي ـ وقالوا أنت الله قوام الارضين ـ يعني الحسين بن علي ـ وقالوا: ان الظاهر له في القرآن من الهيبة والخطاب والتكلم راجعة الى النبي والامام والركن الرابع في مرتبة المعاني . وقال الشيخ أحمد [illegible] له الاسماء الحسنى، لكن امرنا بدعوته بالحسنى دون السوءى؛ وقال ابن معين قولك « الله عالم قادر بصير » الله الله الله . لا تحادها في المفاهيم اللغوية كاتحادها في المصداق الوجودي

(وفي مرتبة معرفة الافعال) قالوا الافعال لله تعالى، ولا تنسب اليه الفعل، ولا يطلق على الذات اسم الخالق والفاعل وأمثالهما ؛ لانها يجب ان يكون مقارنة للفعل والذات لا يقارن شيئا. واستدلوا بقوله: ان الارادة لا تكون الا والمراد معها، ولا يفهمون ان معية المراد مع الارادة حادثة هي لا مع المريد الذي هو القديم تعالى

(وفي مرتبة العدل) قالوا لا خصوصية للعدل في حق معرفته من الاصول دون سائر الصفات . ولذلك جعلوا أصول دينهم أربعة (احدها) معرفة الله (والثانية) معرفة النبي (والثالثة) معرفة الامام (والرابعة) معرفة الركن . وعليه بنى الارشاد الخان الكرماني

(وفي معرفة النبوة) قالوا لكل نوع من الموجودات نبي من نوعهم ، فللجماد نبي من الجمادات، وللنبات هكذا، وللحيوان ايضا. وقالوا ان الصفات المقررة في انبياء بني آدم مقررة لها من كونها طاهرة مطهرة ، عاقلة عالمة ، قابلة للوحي والالهام ، معصومة فياضة على ما تحتها من امتها . ولها أئمة من بعدها حافظة لشرائعها ونقباء ونجباء . صرح به الشيخ احمد في جوامعه ، والخان في ارشاده، وزاد أشياء أخرى

فقال : ان محمدا تنزل وتطور في كل مقام في صورة كل نوع فيتي فيها و يلطرسا ، فانهم قد يظهرون في صور الجمادات والنباتات والحيوانات ، وصور بني آدم سعيدهم وشقيهم . وبه قال الشيخ احمد في مواضع من كتبه . منها ما ذكر في شرح الزيارة في تفسير « واجسادكم في الاجساد » وقال ان الائمة قد يظهرون في احسن صورة لاولياتهم ، وفي اوحش صورة لأعدائهم . ثم ذكر حديث جابر بن عبد الله في قول طلحة ، وقال في الاستشهاد لهذا الحديث : حيث ظهر امير المؤمنين (ع) في صورة قبيحة هي صورة مروان بن الحكم ورمى طلحة بسهم وقتله للاتفاق على ان طلحة قتل برمي مروان ، لكن طلحة لما عاين الموت وكشف عنه غطاؤه رأى عليا (ع) في صورة مروان بن الحكم ، انتهى . وصرح به الخان في ارشاده . والعجب من هذه المقالة بأنه كيف عرف طلحة ورأى عليا في صورة مروان ، ولم يعرفه الحسن بن علي حيث قال في مجلس معاوية لمروان : أنت الذي وقفت بين الصفين ورميت طلحة وقتلته ؟

(وفي مرتبة الختمية) قالوا ان الخاتم (ص) له بين (بين ظهورين) اسم سماوي وهو احمد ، واسم ارضي وهو محمد . وقد تجلى باسمه الارضي منذ بعث في رأس كل مائة لترويج ظاهر شريعته ، حتى مضت عليه وعلى شريعته سنة مائة ستة مائة فكانت اثني عشر مائة (١) وانتهت الدورة الأولى لترويج ظاهر الشريعة وأتت الدورة الثانية لترويج باطن الشريعة . وانقضت دورة ظاهر الشريعة ، فظهرت تلك الحقيقة المحمدية باسمها السماوي وهو احمد في الشيخ احمد لترويج باطن الشريعة . وهذه المقالة عين ما قاله السيد كاظم الرشتي في شرح قصيدة عبد الباقي ، مذكورة في عشرين ورقة (٢) من أواخر الكتاب . والخان في هذا الميدان جولان ، حيث شبه الايمان بالانسان . وقال انه كان نطفة في زمن آدم (ع) ثم صار علقة في زمن نوح (ع) ومضغة في زمن ابراهيم (ع) وعظاما في زمن موسى (ع) ونفخ فيه الروح في زمن عيسى (ع) وتولد في زمن محمد (ص) فارتضع من ثدي ولاية الائمة (ع) ولما كان أوان فطامه غاب عنه المرتضعة (٣) فودعوه (٤) لدى المربيات وهم الفقهاء ، وصار مراهقا في زمن شيخنا ، فأخذناه من الاماء المربيات لنعلمه الآداب والسنن ، وجال في المقام ، واطال في الكلام ، ولعب بذنبه والسبال ، حتى آل الحال الى مقالة

(١) المنار : الصواب اللفظ ست مئة ست مئة فكانت اثنتي عشرة مئة (٢) الصواب ورقة (٣) لعله غابت عنه المرضعة اي غيبة الامام الثاني عشر فودعه (٤) يريد اودعوه من الوديعة

قرة العين القزوينية راقصة بالغنج والدلال، انكحت وزوجت قد فر من الميدان(؟)

وقال الخان ايضاً في ارشاده : ان بعث الانبياء والرسل ونصب الحجج وانزال الكتب كلها لاثبات الركن الرابع ، وهو بمنزلة اصل الكعبة في مسجد الامامة في حرم النبوة في عالم ارض التوحيد . فعلى الاسلام السلام بعد هذه المقالة

وقالوا بكفر من انكر الركن الرابع، واتهم اصبغ(؟) وطعاونهم التقية. وايضاً قال في اول المجلد الرابع من ارشاده ماهذا لفظه: من چكونه بادست قاصر وتمس ضعيف اين مطلب وابكردن اين ـ لق منكوس بكذارم كه هزار ودو سال است كه در جاهليت تيت كرفتارند. وتاريخ كتابه في ست وستين فيكون من اول ولادة الحجة داخلا في الجاهلية الى ان بلغ قلمه موضعه من الكتاب . وقال كتابي هذا — يعني الارشاد — مطابق لما هو مسطور في اللوح المحفوظ حرفاً بحرف ، والسواد مطابق للاصل . وقال قراءة كتابي هذا واجبة وقراءة القرآن مستحبة . وقال من قرأ خمسة اوراق من كتابي فكأنما قرأ التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، وما اتى به الانبياء من عند الله . ولا تقتصر عباداته عن عبادة السيد ميرزا علي محمد ابن السيد رضا الشيرازي في بيانه انا نازل اليه من [illegible] لو اجتمع الجن والانس على ان يأتوا بحرف من حروف [illegible] لا يأتون بحرف مثله

(وفي مرتبة الوحي) قالوا ان الوحي عبارة عن توجه خيال النبي (ص) الى نفسه ، ونفسه الى عقله ، وانزال عقله المعاني الى نفسه ، ونفسه الى خياله ، والعقل هو جبريل النازل عليه . صرح به الخان في ارشاده في المقصد الثالث في النبوة . وقال هناك ان النبي مهما كان متوجهاً الى مسئلة علمية كان غافلا عن سائر المسائل ، فيتدرج له الرشح شيئاً بعد شيء في الدنيا والبرزخ . وقال كثيراً ما يسأل عن الائمة من الاحكام الشرعية (١) ولم يكن لهم جواب حتى يلقى اليهم من علمهم ، فيقصر زمان الالقاء ويطول

فان قيل فكيف يرمون هؤلاء بالغلو في حقهم (ع) مع هذه المقالة ؟ يقال ان التناقض في كلامهم غير معدود ولا محدود ، ويقولون بجواز اجتماع النقيضين لاسيما في ذات الواجب ، ويستدلون بوجود ملك نصفه من النار ونصفه من الثلج . وهذا معروف منهم

(وفي مرتبة العصمة) قالوا بجوز الكبائر والصغائر عليهم عمداً وسهواً قبل

(١) لعل الاصل او المراد: كثيراً ما يسأل الائمة عن الاحكام الشرعية .

البتة وبعدها . صرح بالسهو شيخهم في (جوامع الكلم) وقال يجب عليهم الملك المسدد . وقال الخان في الارشاد: پس اگر خداوند مصلحت داند در بقاء دين اين پيغمبر كه از دنيا ميرود البتة قائم مقامي از براي ان پيغمبر قرار دهد كه اقلا در حفظ شريعت معصوم بوده باشد اگرچه درجاهاي ديگر معصوم نباشد . وان كان في مبحث العصمة اثبتها لهم وقد قسمها بعصمة عقلية ، وعصمة نفسية ووجودية ، وقسمها الشيخ في شرح الزيارة بعصمة ذاتية ـ وقال بها لنبينا والائمة ـ وعصمة عرضية ـ وقال بها في سائر الانبياء ـ ولا يفهم مراده . وقال الخان بعصمة الركن الرابع الذي يسميه إمام الزمان حيث يقول في ارشاده غير مرة : پس امام غائب بكار مردم نميخورد ومردم امام حي حاضر معصوم ميخواهند

(وفي مرتبة الاذعان بالمعراج) قالوا بما هو لفظ الشيخ في رسالته المسماة بالقطيفية: قال انه تعالى لما اراد العروج النبي في كل كرة ما منها ما ألقى ترابه في التراب ، وماءه في الماء ، وهواءه في الهواء ، وناره في النار ، وكل قطعة (!) في تلك الدنيا ، ثم لما رجع اخذ من كل كرة ما ألقى فيها [illegible] عليه في جميع كتبه . ومن بيانه تشبيه المعراج باكل [illegible] الروح البخاري في القلب ، ثم يصعد [illegible] الغذاء المأكول الى ان جعلها نفسا وعقلا وفؤادا

(وفي مرتبة الامامة) قالوا ان امام الزمان غير الائمة الاثني عشر : ولابد في كل زمان من امام غيرهم ، وهذا صريح كلامهم . وقال الخان في ارشاده: پس چنانچه بخداى ناديده اكتفا نميتوانيد نمود بامام غائب هم اكتفا نميتوانيد نمود . وقال في موضع آخر: ساو غائب چگونه تربيت شاگرد ميتواند نمود .

(وفي مرتبة المعاد) قالوا ان الجسم جسمان ، والجسد جسدان ، جسد عنصري دنياوي وهو مخلوق من عناصر هذه الدنيا التي تحت فلك القمر ، وهذه تفنى ويلحق كل شيء الى أصله ، ويعود اليه عود ممازجة واستهلاك ، فيعود ماؤه الى الماء وهواؤه الى الهواء ، وناره الى النار ، وترابه الى التراب . ولا يرجع ولا يعود لانه كالثوب يلقى من الشخص . والثاني جسد أصلي من عناصر (هورقليا) وهو كامن في هذا المحسوس ، وهو مركب الروح ، فيقوم للحساب ، وهو الجسد الذي يتألم ويتنعم وهو الباقي ، وبه يدخل الجنة والنار . وقالوا : المسؤل هو الروح والجسد الهورقليائي . يسمون البرزخي . وقالوا ان الصراط والميزان والوسيلة كلها مؤولة معنويا غير جسمانية

(وفي مرتبة تكليف الناس في زمان الغيبة) قالوا : لا بد في كل زمان من امام زمان غير الائمة الاثنى عشر ، ولهم في هذا المقام مناقضات شتى ، فتارة يعبرون بالشيعة ، وتارة بالنقباء والنجباء ، وتارة بالركن الرابع ، وتارة يفرقون بينهم ، وجعلوا معرفة الركن الرابع اصلا من اصول الدين ، ونسبوا منكره الى الناصبية ، وتناقضوا في القول ، فقالوا : هذا الركن من الايمان كان مخفيا حتى أظهره الشيخ أحمد ثم السيد كاظم ثم كريم خان ، فمن لم يعرفهم ولم يحبهم مات ميتة جاهلية ، وميتة كفر ونفاق ، ثم تفرقت كلماتهم من بعدهم على أشخاص كثيرين فتفرقوا أيادي سبا ، كلما دخلت أمة لعنت أخرى ، الا ان أكثرهم اجتمعوا على محمد خان حسب ماوصى اليه ابوه ، وقالوا في صفات الركن الرابع ما لا يقصر عن صفات الرسل والائمة ، قال رحيم خان أخو محمد خان في منظومته : قدرتشان قدرت يزدان بود ، وقال لهم السلطنة على العالم والقدرة الالهيّة على التصرف فيما يشاؤن ، وأمثال ذلك .

ويقولون صريحا بوجود الباب للامام ، وان كانوا ينفونه عن السيد ميرزا علي محمد الشيرازي ، فالنزاع في الموضوع دون الحكم ، ويحصل كلامهم ان التصديق في مراتب التوحيد لا يكمل الا بالتصديق بالنبوة ، [illegible] النبوة ومعرفتها لا يكمل الا بالتصديق بالامامة ومعرفة الائمة ، والامامة ومعرفتها لا يكمل الا بالتصديق بالركن الرابع ومعرفته ، فالعلة الغائية من المعرفة في معرفة أصول الدين والعقائد معرفة الركن الأخير ، على ان الدين والايمان مركب من اربعة اركان ، ولا يتم معرفة الاول الا بالثاني ، ولا يتم هو الا بالثالث ، ولا يتم هو الا بالرابع ، فمعرفته أصل ومعرفة الثلاث الاول من باب المقدمة ، كما يفهم من عبارات الخان في ارشاده . ولذا قالوا ان معرفة الركن الرابع ومحبته وموالاته من ضروريات الدين ، ومن انكرها انكر اصلا من اصوله ، وقد عبر الشيخ في كتبه عن هذا الاصل بالشيعة الخاص . وبعض آخر منهم بالنائب الخاص في زمن الغيبة الكبرى ، في مقابلة الامامية من قولهم ان الاحكام الشرعية والحوادث الواقعة في زمن الغيبة الكبرى راجعة الى النائب العام ، وهو الفقيه الجامع للشرائط ، حتى آل الامر بالخان فعبر عنها بالركن الرابع ، وزاد في الشيوخ نعوتا أخر لا فائدة في ذكرها

والعجب كل العجب من الفئة الحادثة بعده فان ابنه محمد رحيم خان قال بوحدة الناطق أي الركنية الشخصية ، وقال بان الركن الرابع للدين في كل عصر من الاعصار شخص واحد يجب لكل مكلف في ذلك العصر متابعته في الاحكام الصادرة عنه ،

وارجاع أموره التكليفية اليه ، ومعرفته وموالاته ومحبته ، بناء على ان هذه المعرفة بهذه الصفة من ضروريات الدين . وخالفه في هذه المقالة تلميذ الخان السيد ميرزا محمد باقر الهمداني . وقال بكثرة الناطق أي الركنية النوعية ، وقال ان الركن الرابع في كل عصر يمكن أن يكون متعددا متمسكا بالتوقيع الصادر عن الامام القائم المنتظر (ع) وأما الحوادث الواقعة فارجعوا الى رواة احاديثنا ، وكون محل الرجوع رواة يدل على تعدد الركن لاالتشخص ، والكل منهما كتب متعددة ممهدة لاثبات مدعاه ، ولذا صارت الشيخية بعد الخان المعهود طائفتين ، وبقي الامر كذلك الى زماننا هذا

والاصبهانيون منهم من الطائفة الهمدانية . وأما الطائفة الاولى أي تبعة الكرماني (فهم) متفرقون في سائر البلاد والاغلب منهم ساكنون في طهران وكرمان ، وكلهم متفقون في جواز التقليد من الميت ، والعمل بكل خبر ولو كان ضعيفا . ولذا يعدون من الاخباريين مع إعمالهم نبذة من قواعد أصول الفقه في مباني فتاويهم انتهى

« المنار »

ما أفسد دين الشيعة أحد الاحسائي وتلامذته والرشتي ومنهم هذه الخيالات الا الشيع بما أثروه من فرق الباطنية من اغراء الناس لبعض زعماء الباطنية بالامامة ولبعضهم بالألوهية ، وعلمهم أن أهل زمنهم أجدر من المتقدمين بالتقليد ، والاعراض عن القرآن والسنة والجهل بهما وبلغتهما وبما كان قبل من التمهيد . والظاهر ان كلا من الاحسائي والرشتي والكرماني كان يطمع أن يكون في شيعة العراق والفرس ، كامام بل إله الاسماعيلية في الهند ، ولكن كان منتهى شوط أيطاليهم التمهيد للباب ثم للبهاء ، اللذين كانا دونهم في الفلسفة والفصاحة والذكاء ، وما سبب رواج كفر الباطنية وشرهم المخترع ـ على اختلاف فرقهم من اسماعيلية ودروز ونصيرية وبكداشية وبابية وبهائية ـ الا الغلو في تعظيم آل البيت (وكذا غيرهم من العلماء والصالحين) والتقليد في الدين فهذان السببان هما اللذان أعدا الاذهان ، لقبول هذا الكفر والطغيان ، ولما كانت فرقة الشيعة الامامية أشد غلوا من سائر فرق المسلمين في تعظيم آل البيت جعلها واضعوا هذه الاضاليل مباءة لها ، وسلما لمقاصدهم منها .

تقريظ المطبوعات الجديدة (*)

﴿ نشوء فكرة الله ﴾

« كراسة تحتوي على خلاصة كتاب لجرانت ألين الكاتب الانكليزي المشهور عن نشوء الاعتقاد بالله وترقي الانسان من الوثنية الى التوحيد الحاضر مع بيان أصول المسيحية ونشوئها »

لخص هذه الكراسة من ذلك الكتاب وطبعها ونشرها (سلامه افندي موسى) وهو شاب قبطي الجنس مادي الاعتقاد، يعنى باقناع الناس بأن الأديان أوضاع مخترعة ينبغي لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعي واصول الاشتراكية ومنها على رأيه تبعا لبعض غلاة المادية من الافرنج – أن يعمل الاقوياء باهلاك الضعفاء، ومنعهم من الزواج ومن كل ما يطيل أيام حياتهم على الارض، كالحب [illegible] والصدقة على البائسين . وما نشر هذه الكراسة الا في سبيل مذهبه . وهذه الحملات التي يحملها الملاحدة على الدين تؤثر في النصارى [illegible] الحاضرة وثنية متسلسلة من وثنية قدماء المصريين والهنود وغيرهم . واننا ننشر فصولا من هذه الرسالة بحروفها تثبت ما قلناه ، ثم نعقب عليها [illegible] الكتاب :

﴿ ١ ـ المسيحية كمقياس ديني ﴾

اذا اخذنا المسيحية كنموذج للاديان واعتبرنا نشوءها نجد ان كل ما فيها من العقائد والمراسم مأخوذ من الاديان السابقة لها التي كانت فاشية عند ظهورها . فاله المسيحية – المسيح – كان انسانا كما كانت كل الآلهة القديمة عند اول ظهورها. وقد اتخذه المسيحيون الاولون ابنا لاله (كذا) تقربا له من الانسانية كما فعل اليونانيون مع اسكندر المقدوني . ونجد في المسيحية ما يسمى (بالثالوث الاقدس) وهو عبارة عن ادماج ثلاثة آلهة وهم الآب والابن والروح القدس في إله واحد على مثال ما كان يعتقد المصريون في الثالوث الالهي المكون من اوزريس وايسيس وهوروس . والمسيحيون يعتقدون ان أم المسيح عذراء . ولا بد ان هذا الاعتقاد قد تسلسل من

(*) كتب تقاريظ هذا الجزء ما عدا الاول منها ـ شقيق السيد صالح مخلص رضا

الاعتقاد المصري القديم الذي كان قائما على اعتقاد البكارة في ايسيس ام هوريس . وكذلك ترى اذا بحثت عن الاصل في مراسم المسيحية كالصليب والقبر والكنيسة والهيكل انها مأخوذة من الاديان المصرية القديمة . كما ان نظام القربان والكهنوت مأخوذة منها ايضا .

(١٥ – الضحية والدم)

قد رأينا فيما سبق ان الضحية باعثين الاول هو الاعتقاد بانها تقدم كطعام للروح او الاله . والثاني هو الاعتقاد بان الاله ذاته يتجسد فيها وتدفن اجزاؤها في الحقول لكي تنمي الزروع .

الى هنا لم نتكلم عن اكل الناس الاحياء للضحية . فقد رأينا الضحية تجزأ وتدفن في الحقول باعتبار انها إله ورأينا القربان ايضا يوضع للميت اعتبارا بانه سيجوع ويأكله . وسنتكلم الآن عن اصل عادة اكل الناس للضحايا .

من الشائع بين عوام مصر ان من يأكل قلب ذئب صار قويا مثل الذئب ويعتقدون في الهند ان من يأكل [illegible] الاسير [illegible] شجاعا جريئا [illegible] ولما نشأت عادة ذبح الآلهة المتجسدة في الضحية ورد على خواطر المضحين ان يأكلوا هم ايضا قطعة من جسم الاله حتى يصيروا مثله في صفاته ، على نحو ما يفعل آكل الذئب والنمر . فصاروا يضعون جزءا من الضحية المؤلهة في الارض ويأكلون جزءا آخر منها . وهذا صيد العصفورين بحجر واحد : مباركة الحقل وتقوية الجسم . كذا تفعل قبائل الهوند . وكذا ايضا كان يفعل المكسيكيون . فانهم كانوا اذا ارادوا التضحية قبضوا على اسير من أسرى حروبهم وعاملوه معاملة الملوك مدة عام يقتلونه باحتفال عظيم في نهايته ويأكلونه . وبمضي الزمن ارتقى الانسان من التضحية البشرية الى التضحية الحيوانية الحاضرة في اعياده . وفي طريقة الذبح عند العرب والعبرانيين الآن بقايا اثرية من عوائد التضحية القديمة فانهم يذبحون الآن « باسم الله » ويتطلبون اراقة الدماء من المذبوح ، والدم هو في العادة الجزء الذي يشتهيه الاله لانه – بخلاف اللحم – يجف فيظن الرائي ان الاله قد شربه .

قلنا ان الانسان كان يشرب دم الذبيحة او يأكل لحمها اعتقادا بانه يأكل ويشرب من لحم الاله ودمه . وقد قلنا انه كان يعتقد بأن روح الضحية روح للاله تحل من الذبيحة عند الذبح وتنتشر في المحاصيل كالكروم والغلال .

من هنا نشأت عادة أخرى وهي أن يأكل المتدين خبزا أو يشرب نبيذا باعتقاد انه يأكل من لحم الاله ودمه · لان روح الاله قد تجسدت في محاصيل الغلال والكروم ، والخبز والنبيذ هو ما يأخذه المسيحي من قسيسه باعتقاد انه يأكل ويشرب من لحم المسيح ودمه ·

(١٦ – ضحية الافتداء)

الضحية – كما قلنا – اعتباران عند المتوحشين (١) انها تقدم كطعام للروح أو للاله (٢) انها تقدم كأنها هي الاله ذاته

وهناك نوع ثالث من الضحايا يقدم باعتبار انه يفدي القبيلة أو الامة من خطاياها وقد صلب المسيح لكي يفدي الناس من خطاياهم أي لكي يكفر عن ذنوبهم

والاصل في هذه الضحية هو الاعتقاد بامكان نقل المرض من شخص الى شخص أو الى شيء آخر . مثال ذلك ان ملكا في (بنتو الالند) أصيب مرة بمرض ما فأحضر ثورا وتليت عليه الرقيات والغرق بعد ذلك في الثور · ومنطق هذا العمل عندهم ان المرض قد انتقل الى الثور وذهب معه بعيدا عن الملك ، ولا يزال عندنا نحن المصريين آثار باقية من هذا الاعتقاد في رقياتنا حيث ترقي الراقية المرض وتلقيه بعيدا عن المريض بالقائها بعض أشياء كانت تحرقها في النار وقت الرقية

وقد نشأ من اعتقاد امكان نقل المرض اعتقاد امكان نقل الخطيئة · مثال ذلك ان بعض قبائل افريقيا يقتل كل سنة شخصين رجلا وامرأة – لكي يكفرا عن خطايا القبيلة . يعتقدون ان خطيئات القبيلة قد انتقلت الى هذين الشخصين وانهم بقتلهما يغسلون القبيلة من أدران خطاياها ، ويبرونها امام آلهتها ، كما كان يقتل الاثينيون شخصا عند وفود وباء ما على بلدهم اعتقادا بأن الوباء يموت بموته وتنجي الامة منه ، وكما تذري الراقية قطعة الشب التي احرقتها في النار وقت الرقية اعتقادا بأنها حملت المرض معها وذهبت بعيدا عن المريض

(١٧ – العالم قبل المسيح)

كان العالم الذي انتشرت فيه المسيحية تابعا للدولة الرومانية عند بدء انتشار هذه الديانة · وقد كانت هذه الدولة تشمل كل ممالك البحر المتوسط ، ودرجت اللغة الرومانية على ألسن التجار فقربت بين هذه الامم وصبغتهم بالصبغة الرومانية · وقد بعثت التجارة على المهاجرة والنزوح الى المواني فكانت الاسكندرية ورومية

وانطاكية (١) ملأى بالسوريين والرومانيين والاسبانيين وغيرهم من الجاليات التي هجرت مواطنها الاصلية واستعمرت هذه المواني الارتزاق. وقد أدى هذا الى انتشار الاديان في أصقاع الامبراطورية، وخروجها من اوطانها الاصلية، فكانت الآلهة المصرية تعبد في انجلترا ورومية بسبب النزلاء المصريين كما كان يعبد الاله (يهوه) في الاسكندرية ورسيليا بواسطة اليهود. وقد كانت بعض هذه الآلهة تتحد في الصفات فيعبدها الناس وان كانت أجنبية عنهم الا انها تتفق في صفاتها مع احد آلهتهم. او كانت الظروف تقتضي عبادة الآلهة الغريبة كما حدث مع البطالسة، فانهم حينما تولوا حكم مصر عبدوا الالهة المصرية مع انهم كانوا يونانيين. وقبيل ظهور المسيحية كانت الاديان الوثنية قد ضعفت امام الفلاسفة وحصل بذلك اشتياق في النفوس للتوحيد اليهودي ولو لم يكن (يهوه) إله اليهود وطنيا متعصبا في الوهيته يكاد لا يعترف بامة حقيقة بالجنة غير اليهود لعمت عبادته. لهذا تحول الناس الى العبادة المسيحية لانها في الحقيقة عبادة للآلهة كلها، لان المسيحية اشتقت مناسكها وعقائدها ومراسيمها من آلهة مصر وسورية ورومية وفارس وانجلترا وغيرها، فكانت كل الامم تعرف شعائرها وتعتقد بصحة بدعتها وأساطيرها. ومما زاد في الاقبال عليها [illegible] اليهود

(المسيح ضحية)

انا نشك في ان المسيح كان انساناً موجودا. على اننا اذا صدقنا رواية وجوده كشخص ما، فاننا نعتقد ذلك باعتبار انه وجد وقتل كضحية مؤلهة. وهي الضحية التي قلنا انها كانت تقدم لآلهة الغلال والنبيذ. فقد كان السوريون المجاورون لليهود يعبدون (أتيس) إله الغلال، وكان من عاداتهم أن يقدموا له ضحية سنوية. ولعل الاشاعة التي فشت بعد ظهور المسيحية عن ذبح اليهود للاطفال قد نشأت عن هذه التضحية، وعندنا سبعة اشياء ترجح ان المسيح كان ضحية مؤلهة. وهي:

(١) اذا فحصت عظات بولس في رسائله الى الكورنثيين تجده يصف المسيح كأنه يصف احد آلهة الغلال تماماً.

(٢) اكل تلاميذ المسيح وكل المسيحيين الآن الخبز والنبيذ باعتبار انهما من جسد المسيح ودمه. وهذا ما كان يفعله تماماً عبدة (أدونيس وأتيس) آلهي الغلال لان الاله يتجسد في المحصولات.

(١) المنار: انطاكية ليست فرضة (ميناء) وكذلك رومية

(٣) قول المسيح «انا خبز الحياة» . «خذوا كلوا من دمي»(١) وقد وصفوه بانه فضي الوجه وان شعره كلون الثلج .

(٤) انه دخل أورشليم بهيئة ملك مثل ضحايا أتيس وادونيس . لان الاعتقاد كان فاشيا بان هذين الالهين يتجسدان في الضحية التي تقدم لهما فيجب اذن اكرامهما ما داما على قيد الحياة . وقد جاء في الانجيل انهم وهم يقابلون المسيح ركعوا، وهذا يماثل ما كان يفعله كهنة أتيس بالضحايا .

(٥) ولما دخل المسيح أورشليم كان ممتطياً حمارا وقد نثرت أغصان الاشجار على الارض، وهو عين ما كانوا يعملونه مع ضحية أتيس وما زال في «أحد الزعف»(٢) الذي يسبق العيد الكبير عند النصارى بقية من بقايا أعياد آلهة الدلال .

(٦) لما قتل المسيح بكت عليه النساء مثلما كان يحدث في ضحايا أتيس لانهم كانوا يعتقدون بأن الاله يتجسد فيها وبالتالي يكون عليه لانهم قتلوه .

(٧) بعثه بعد ثلاثة أيام . مثل أتيس وادونيس بالضبط

فالمسيح قتل لغرضين : انه ضحية وثنية ولكي يفدي الشعب من خطاياه (وقد عرفنا اصل ومعنى الفداء)

أما الثالوث فقد جاء للمسيحية من مصر وثبت اولا عند الاقباط لان أديانهم الوثنية السابقة كانت تحتم هذا الاعتقاد .

أما الصليب فقد أتى ايضاً من مصر وتراه للآن على الجملان . وقد اختلط الموضوع على بطريرك مصري مرة فقال في احد كتبه عن المسيح انه « جمل الله» أي انه ظن الصليب والمسيح شيئاً واحدا لان الجمل كان يرسم عليه الصليب .

(١٩ - بقايا أثرية في المسيحية)

ما زال المسيحيون للآن يعبدون الوثن . وقد كانت الكنائس عند اول تشييدها قبورا ليس الا . ومركز القديس الآن بين النصارى وقيمته عندهم كمركز رئيس القبيلة المتوفى بين قبيلته بالضبط . لان النصراني يحترم القديس ويتهيبه ويتقرب منه كأنه يعبده عبادة ولو أنكر ذلك . وقد كانت القرون الوسطى العصر الذهبي

(١) الناو : العبارة مذهبية لم ترد بمعنى على الاناجيل وهو انه سمى الخبز جسده وأمرهم أن كلوه وسمى الخمر دمه وأمرهم بشربها

(٢) أي يوم الاحد الذي يحتفلون فيه بسعف النخل احتفالا خصوصيا

لعبادة الموتى والارواح . فانهم كانوا لا يبنون كنيسة الا اذا أحضروا لها شهيدا أو قديسا دفنوه في هيكلها . وقد تغالوا في هذا العمل حتى أن البندقيين نقلوا جثة مرقس الرسول من الاسكندرية الى البندقية لكي يضعوها في الكنيسة المسماة باسمه هناك .

ودين الاسلام التوحيدي العظيم لم ينهاك عن تقديس الموتى واعتبارهم . فالمسلمون ما زالوا الآن يتمسحون بقبور الاولياء و يتبركون بها و يبنون لهم — للاولياء — المساجد على قبورهم .

نريد بذلك أن الانسان الذي تشبع بالتوحيد ما زال يحن الى ميوله الوحشية وتبعثه غريزة التدين الاصلية الى العبادة الاولى : عبادة الجثث والارواح .

وترى الآن عند المسلمين أثرا من آثار العبادات القديمة في مشهد قتل الحسين حيث يمثلون قتل الحسين ويسيرون به في الشوارع باكين ومترحمين عليه كما كان يفعل السوريون في البكاء على ادونيس سنوياً . اه

(المنار) : ما أضل (جرانت ألين) الكاتب الانكليزي مؤلف الكتاب ، وأضل أمثاله من احرار الكتاب [illegible] الحق ، وأوهمهم انه من خرافات الخلق ، المتحررون من [illegible] بين الاقوام ، مع جهلهم بحقيقة الاسلام ، وظنهم ان النصرانية هي أرقى الاديان ، مع شهادة التاريخ بأن جميع أصولها مأخوذة من تقاليد عبدة الاوثان ، كتأليه البشر والتثليث والفداء ، وتقديس كثير من الاشياء . ولو فهموا القرآن حق فهمه ، وعرفوا سيرة نبيه لعرفوا الدين الحق . فان الاسلام وحده هو الدين الذي حفظ أصله كما هو ، فهو الذي يجب ان يتخذ مقياسا وميزانا لا النصرانية ، التي لا يزال الكثيرون من العلماء والمؤرخين يشكون ـ كالمؤلف ـ في وجود من تنسب اليه (وهو عيسى بن مريم عليهما السلام)

اذا كانوا يحكمون على الاديان بمسائل يستنبطونها من التقاليد التي اخترعت بعد دعاة تلك الاديان فكيف يكون حكمهم صحيحا ؟ ألم تر أيها القارئ كيف عدوا على الاسلام تقديس كثير من المسلمين للموتى وتمسحهم بقبور الصالحين وبناء المساجد عليها ، وتمثيل الشيعة منهم لقتل الحسين بن علي (عليهما السلام) كما كان يفعل الوثنيون الاولون ، اذ كان تقديس الموتى ركناً من أركان الوثنية ؟

يعدون هذا على الاسلام، وأصول الاسلام تنفيه وتحرمه وتعد بعضه كفرا وشركا وبعضه معصية، وقد اجمعوا على انه بدعة، وثبت عن النبي(ص) في الصحيحين

والسنن انه لعن الذين يتخذون القبور مساجد او يوقدون عليها السرج ، ونهى ان يتخذ قبره وثنا او يتخذ عيدا . ومن الظلم أيضاً ذكر الاسلام في سياق الكلام عن الدم والاضاحي الوثنية . فان اضحية الاسلام لا شائبة فيها للوثنية والفداء ، وانما هي نفقة وتوسعة على العيال والفقراء ، والله تعالى يقول (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) كما انه ينفي عقيدة الفدية نفيا صريحا . فاذا كان الاسلام وهو الدين الوحيد الذي حفظت أصوله ينتقدون عليه ويعدون منه ما جاء لهدمه وابطاله ونهى عنه اشد النهي ، فكيف يعتد بما ينسبونه الى اليهودية والنصرانية ولم تحفظ أصولهما حتى يمكن الرجوع اليها ؟

الحق ان أصل الدين فطري في البشر ، انطوى عليه وجدانهم ، وصدقته عقولهم ، عند ما صاروا يبحثون ويستدلون ، والماديون يتوهمون ان فطرتهم وعقولهم لا تؤمن بغير ما يدركونه بحواسهم ، وهذا غفلة منهم عن أنفسهم ، وعن فرضهم وجود الاثير فرضاً تلجئهم اليه الضرورة . وقد بينا من قبل كيف طرأت الوثنية على الناس ، وحقيقة النشوء والارتقاء في الاديان وكيف قاومها الانبياء بالدين الحق ولا محل لاعادته هنا .

﴿ اهتدائي الى الاسلام ﴾

تأليف (المهتدي) عبد الكريم يوسف (جوسو) الفرنسي طبع في المطبعة التونسية على ورق جيد بحرف كبير ص ١٠٧ « بقطع الاسلام والنصرانية » يباع في المكتبة العلمية (عدد ٢٩ بشارع الكنيسة بتونس)

ما زال الله يزيدنا بصيرة ويقينا بدين الاسلام خاتم الاديان بما يهدي اليه من أرباب الارادة القوية والفكر المستقل ، فمن اسلام عبد الكريم يوسف (جوسو) الفرنسي ، الى اسلام اللورد هدلي الانكليزي ، الى امثالهما من اخواننا الذين لحقوا بنا في الاسلام دين الحق والتوحيد والتنزيه ، والايمان بجميع الانبياء الصالحين .

ولا بد من تعميم الدين الحق (دين الاسلام) في جميع اقطار المعمورة ، (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

واليك صورة اهداء كتاب اخينا عبد الكريم قال حفظه الله

الحمد لله الواحد الاحد ، الفرد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا احد ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذي جاء بالحق ليظهره على الدين كله ، مرغما أنف من عاند وحقد وحسد ، فدعا لسبيل ربه بالحكمة والموعظة

الحسنة ، وجادل الناس بالتي هي احسن ، فنهم من تحير وفر ، ومنهم من انقاد واذعن واقر ، وتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وعلى كافة الانبياء والمرسلين ، وجميع الآل والاصحاب ومن تبعهم وتلاهم الى يوم الدين .

اما بعد فان المنازل تستهوي ألباب قاطنيها بما يتاح لهم تحت اديمها من افانين السعادة والسعادة ـ لازلت لها قرينا ـ نوعان : سعادة أرواح وسعادة اشباح ، بينهما من التفاوت كما بين النار والنور ، والظل والحرور .

وقد صادفت اثناء اقامتي بالقطر التونسي سعادة نفسي ، وراحة فكري ، من نصب وكفاح مارسته عقدين من السنين ، اذ حين قر قراري ، وسكنت نفسي ، انقاد ضميري ، لاتباع دين الهدى وشريعة الاسلام ، فصار هذا القطر حينئذ وطنا تنقنس تحن اليه ، وترفرف بأجنحتها عليه ، ومن كان حر الضمير يصدع بالحق لا يخشى لوما ولا تثريبا .

لذلك اودت أن اهدي للناس عند ما نجز هذا التأليف ما الفؤادي من الود والميل نحو قطر يجدر لي ان ادعوه « قطر السعادة » فوطدت العزم على اهداء الكتاب لأميره الاعظم ، وملاذه الافخم صاحب السؤدد والفخامة سيدي محمد الناصر باشا باي ، صاحب المملكة التونسية ، لازال رفيع العماد طويل النجاد آمين

عبد الكريم جوصو

وهذه مقدمته

« تقولت علي بعض الصحف الفرنسوية عند ما اعتنقت دين الاسلام اني أريد تمهيد السبيل للتزوج بأربع نساء ، وامتلاك ما اشاء من الجواري ! سبحانك اللهم هذا رجم بالغيب ، وقذف بالبهتان ، بل اني اسلمت لله رب العالمين ، مخلصا له الدين ، وما أنا اول المهتدين

وجدت الاسلام دينا سمحا سهل المأخذ ، بين العقيدة ، واضح البرهان ، مجردا من الغموض ، لا يفتقر أتباعه في عبادة خالقهم الى واسطة ، فارتضيته لنفسي والحمد لله

لقد كنت بادئ بدء اردت أن اقلد اسلافي الكاثوليكيين ، ولكن الفكر ابى ان يعتقد شيئا لا دليل عليه ، وكيف يقام البرهان على صحة العقائد الكاثوليكية وقساوستها ورهبانها وكرادينالها عاجزون عنها ·

بعد ذلك مكثت نحو عشرين سنة ابحث عن الدين الحق لأكون من شيعته، اذ لا غنى لمخلوق عن عبادة خالقه .

فاتفق لي في اواخر هذه المدة ان جبت بعض الاقطار الاسلامية، فأثر جمال حياة اهلها تأثيرا عظيما على قريحتي الفنية، واستهوتني محاسنها الى ان اندفعت لبحث في شؤونهم اجمالا وتفصيلا، واذ ذاك اخذ دين الاسلام يستميلني شيئا فشيئا، الى ان تحول اليقين امام عيني، وعلمت ان الدين عند الله الاسلام .

وها انا ابين للواقفين على هذا الكتاب خلاصة ابحاثي من اولها الى آخرها تفنيدا لمزاعم الواهمين .» اهـ

ثم كتب له ملحقا في المباحث الآتية وهي (تسامح الاسلام) و (انتشار الاسلام) و (في الخالق) نقلا عن كتاب الاسلام الذي الفه الكونت هنري دي كاستري . ثم (القرآن) نقلا من « البحث في اصل اللغات » تأليف جان جاك روسو ومن « حياة محمد » تأليف بولانفيلير . ومن « الاسلام » تأليف هنري دي كاستري . وبعد ذلك مبحث (في المرأة) من مختصر « في حقوق المسلمات » تأليف رحمين حلو . ومن « [illegible] الاسلام » تأليف [illegible] . يتلوه مبحث (قضاء الكنيسة [illegible] على [illegible] تعدد الزوجات) من كتاب « الاسلام على حفظ القرآن » تأليف [illegible]

(الاسلام) مجلة دينية علمية اخلاقية سياسية فارسية تصدر في طهران في كل شهر عربي مرة صفحاتها ٤٨ بالقطع الصغير . رئيس تحريرها حسين كل السلطان . قيمة اشتراكها ١٢ قرانا في إيران ويضاف اجرة البريد للخارج . وثمن العدد الواحد قران واحد عنوانها « طهران خيابان حرية مركز توزيع كل جرائد داخلية وخارجية »

(العرفان) مجلة شهرية تصدر في صيدا سنتها عشرة أشهر تبحث في العلم والادب والاجتماع وتعنى عناية خاصة بشؤون الشيعة ، وكانت حجبت عن قرائها زمنا ثم عادت الى خدمتها وهي ذات أربعين صفحة بقطع المنار ، وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريال مجيدي وفي الخارج ستة فرنكات

(المنهل) مجلة ادبية تاريخية اجتماعية مصورة عند الاقتضاء . تصدر مرة في الشهر في القدس الشريف لمنشئها محمد موسى المغربي . صفحاتها ٤٠ قيمة اشتراكها ريال ونصف ريال مجيدي في البلاد العثمانية وفي الخارج عشرة فرنكات

﴿ الاصلاح اللامركزي وطلابه في البلاد العربية ﴾

تألف حزب اللامركزية بمصر لمطالبة الدولة بتغيير شكل ادارتها في المملكة كلها - وان كان جميع مؤسسيه من العرب السوريين - لأنهم يريدون الحياة للدولة كلها لا لبلادهم فقط ، ولو طلبوا الادارة اللامركزية لبلادهم وحدها لما كان ذلك أنفع لهم ولا أرجى لقبول طلبهم ، اذ رضاء الدولة بجعل ادارة بعض ولاياتها مركزية وبعضها غير مركزية بعيد عن العقل والتصور . وتألفت في أثناء ذلك الجمعية الاصلاحية ببيروت لطلب اصلاح معين لولاية بيروت خاصة . وتلتها جمعية في البصرة لطلب الاصلاح لولاية البصرة خاصة . وما حفز العرب في هذه المواضع وأهاب بهم الى طلب الاصلاح والدولة تئن من أثقال الحرب البلقانية التي غايت فيها الى امرماء الا لخوفهم أن يكون بقاء الخلل السابق سببا لانحلال الدولة وتقسيم الدول لها بالفتح السلمي الاقتصادي او الاحتلال العسكري .

ولما رفعت هذه الجمعيات أصواتها بطلب الاصلاح رددت صداه جماعات المهاجرين السوريين في امريكا الشمالية والجنوبية وأوربة ، واقترح بعض من في باريس منهم تأليف مؤتمر في باريس للاعلان بمقاصد العرب في الاصلاح في البلاد والبحث في حقوق العرب في الدولة العثمانية ، وفوضوا الى حزب اللامركزية ادارة هذا المؤتمر ، فاختار الحزب للقيام بذلك كلا من السيد عبد الحميد الزهراوي واسكندر بك عمون ورشح الاول لرياسة المؤتمر على ان يكون بانتخاب اعضاء المؤتمر ، وكذلك كان . وكان من امر انعقاد المؤتمر ونجاحه واهتمام حكومة الاستانة به ما هو مشهور .

شعر أركان الحكومة الاتحادية بوجود العرب وشوا بإقامة الاحتفالات بينهم وبين من في الاستانة من العرب واكثرهم طلبة للمدارس الاميرية . وسعوا لاستقدام الوفود من سورية ، واحتفلوا واحتفوا بمن ذهب منهم الى الاستانة ، وادبوا لهم المآدب ، واحبوا التأليف بين طلاب الاصلاح ومن عارضهم وشنع عليهم زلفاً للحكومة ، ولكن لم يتم لهم هذا . وكانت هذه التظاهرات التي اهتم بها اهل الاستانة تذكر بالسخرية في غيرها ، ويعدها العرب في مصر وسورية والعراق وفي البلاد الاجنبية خداعا وتخديرا .

وأما الامر الذي كان محل النظر ، وموضع الامل عند بعض العرب ، فهو

الاتفاق الذي عقدته جمعية الاتحاد والترقي مع رئيس المؤتمر العربي ، واعطته العهد والميثاق لتنفيذه كله . وهو مؤلف من اثني عشرة مادة . ولهذا مكث رئيس المؤتمر بضعة اشهر في باريس ينتظر تنفيذه ، وكانت الاستانة تجذبه اليها وحزب اللامركزية يجذبه عنها ، حتى اختار الحزب أخيرا أن يعود الى مصر ، وان يمر بالاستانة مخيرا اذا شاء . فشاء وجاء الاستانة ، وراجع رجال الحكومة في أمر تنفيذ الاصلاح الموعود به ، فقالوا إنا على عهدنا ، وقد بدأنا من التنفيذ بانشاء مدرستين سلطانيتين باللغة العربية احداهما في دمشق والاخرى في بيروت ، وبتقرير جعل عسكر كل ولاية في منطقتها العسكرية ، وبجعل اللغة العربية رسمية في المحاكم ودواوين الولايات العربية ، وباختيار الموظفين لهذه الولايات من العارفين باللغة العربية . واما ما يتعلق بالنافعة والاوقاف والمعارف فهو يتوقف على وضع القوانين له ونحن شارعون في ذلك بتنقيح قانون الولايات ووضع قوانين أخرى ، ثم ان تنفيذ بعض ذلك يتوقف على وجود المال ولا مال الآن . واما المناصب والوظائف في مجلس الاعيان ومصالح الحكومة العليا فلم نساعدنا على اختيار الاكفاء لها ليعينهم بالتدريج .

هذا ملخص ما [illegible] السيد الزهراوي بعد مراجعات متعددة [illegible] وزرائه مدة طويلة ، حتى عزم على مغادرة الاستانة ، ثم شرعت الحكومة في تنفيذ ما لا يتوقف على القوانين ولا ينال من المطالب بالمشاورة معه ، ومنها تعيين ستة اعضاء من العرب في مجلس الاعيان احدهم السيد الزهراوي نفسه ، إذ اقتضت الحال ان يكون في الاستانة مراقبا لتنفيذ سائر ما وعدت به الحكومة من الاصلاح ، ومنها تعيين الشيخ اسماعيل الحافظ من علماء طرابلس الشام عضوا في مجلس المعارف الاعلى ، وهو في الذروة العليا من نابغي العرب علما وعملا واخلاقا وعقلا ورأيا واستقامة . ومنها تعيين عبد الوهاب افندي الانكليزي (انفا لا تنبا) وشكري افندي العسلي مفتشين في بعض الولايات ، وهما من اشهر نابغي العرب من سلك الحكومة الملكي المستحقين المناصب العالية . ومنها تعيين اناس آخرين في (الدوائر) العالية في العاصمة .

وكان رجال الاستانة قبل هذا قد أرضوا بعض رجال جمعية بيروت الاصلاحية بالوعود الخلابة فسكنت حركتها بالتدريج ، واستمالوا السيد طالب بك النقيب زعيم البصرة ، فأعلن في الجرائد الرضاء عن الحكومة والاتفاق معها وتبرع للاسطول العثماني وجمع له مالا كثيرا

ثم ان حزب اللامركزية رأى من الصواب ان يحافظ صلته بالسيد الزهراوي كما حفظ هو صلته بالحزب بعد قيامه بما عهد اليه خير قيام ، حتى انه لم يحل ولم يرحل ، ولم يحلّ ولم يعقد ، الا باستشارة الحزب ، ولأن زعماء الحزب يثقون كل الثقة بصدقه في القول وباخلاصه في العمل لمصلحة الامة ، فهو بهذا خير من يوقفهم على أعمال حكومة العاصمة فيكونون على بصيرة منها ، فلا يبنون عزائم وسعيهم على الظنون والاوهام ، فقرر الحزب باتفاق الآراء إقرار السيد الزهراوي على قبول منصب الاعيان واثقة به ، أي في التوسط لدى الحكومة بمطالب الاصلاح .

فعل الحزب هذا وهو غير موقن ولا مرجح لانجاز الحكومة ما وعدت به السيد الزهراوي ، كما انه غير موقن أنها لا تنجزها ، فكانت الحكمة في عدم قطع الصلة بالحكومة ، ومطالبتها بالبرهان والحجة ، على كون الحزب لا يألو جهدا في السعي الى الاصلاح من طريق الامة ، فهو يسلك الطريقين الى مقصده ، فاذا لم يصل من احدهما وصل من الآخر .

اتفق ان الحزب لم ينشر شيئا جديدا بعد بلاغه العام الذي نشره يوم المظاهرة الرقبة السلمية ، [illegible] البلاد [illegible] ، لانه لم يجدد شيء جديد يدعو الى النشر ، [illegible] لم صلة مكاتبة به ، ان الحزب قد سكن [illegible] ، وأنه رضي من الحكومة بما قالت وما فعلت ، وطفقت الجرائد العربية في امريكا تطعن في الحزب وفي طلاب الاصلاح كافة ، وزعماء بيروت منهم خاصة .

٭٭٭

يدخل الكلام بهذا الموضوع في اربع مسائل : الجماعات الاصلاحية ، والمعترضون عليها الآن ، وما يعترضون به ، والحالة الحاضرة ، ولنا في كل مسألة منها قول وجيز .

اما الجماعات الاصلاحية فثلاث كما تقدم: جماعة حزب اللامركزية وهي تعمل للمملكة كلها وان كان العاملون فيها عربا وتأثير عملها الاول في البلاد العربية ، ومتى وجد الاصلاح في البلاد العربية يوجد في غيرها حتما اما سابقا واما لاحقا ـ وجماعة بيروت وجماعة البصرة ، ومطالب كل منهما موضعية ، ولكن زعماءها متفقون مع حزب اللامركزية في مطالبه العامة كلها ، اذ النسبة بينه وبينهما كالنسبة بين الخاص والعام . فاذا سكتت الجماعتان اليوم عن مطالبهما الخاصة لأسباب اقتضت ذلك ،

فذلك لاينفي بقاء اتفاق أهل الرأي منهما مع حزب اللامركزية في المطالب الاصلاحية العامة ، وان لم يساعده على ذلك جميع افرادها في الشكل الاول ، فقد يساعده كثير منهم في شكل آخر . والحق الواقع ان الحزب الآن اقوى ناصرا واكثر عددا مما كان عليه من قبل ، خلافا لما يتوهمه البعيد عنه ، فقد تشعبت شعبه وكثرت فروعه في الولايات ، ورسخت مقاصده في النفوس ، وقد قويت الآمال فيه ، وانحصر رجاء الولايات في سعيه ، وان صلة السيد الزهراوي به لم تزد رجاء الولايات فيه الا قوة وثباتا ، وان كان أهل الرأي من شعبه ولجانه فيها متفقين مع اخوانهم الذين في مصر على كون ما منت به الحكومة على العرب لا يسد شيئا مذكورا في جانب مطالب الحزب ، ولا ينبغي ان يزيده الا جدا واجتهادا في السعي .

وأما المعترضون فمنهم الخاص الذي لا علم له بدخائل الامور وحقائقها ، ومنهم الخاص المطلع الذي يريد بالاعتراض حفز الهمم ، والحث على الاسراع في العمل ، ومنهم من لا حظ له من المطالبة بالاصلاح الا [illegible] حكومة الدولة العثمانية والتهويش عليها ، وهو لا يرجو لها ولا منها صلاحا ، ولا يحب لها بقاء ، فهو اصبر القائلين عليها ، وظهير المقاومين لها ، [illegible] وأي شكل ظهروا ، ومراده ان تستولي الدول الاوربية عليها [illegible] ومنهم من لا يسهل معرفة قصده ولا حقيقة مراده . فأما المخلصون في طلب الاصلاح فلا يلبثون أن يرجعوا عن انكارهم ، وغير المخلصين لا علاج لهم .

وأغرب ما رأى الحزب من المعارضة والمقاومة وأبعده عن المعقول ما كان من احد كتاب نصارى السوريين الذين انتموا للحزب ، فقد حضر كثيرا من جلسات اللجنة العليا بطريق الاستثناء ، كان يلقي فيها دلوه بين الدلاء ، فينفرد بالمعارضة ، ويلح بطلب جعل المصالح والمنافع قسمة بين المسلمين والنصارى ، وقد اتفق الفريقان على انكار هذا الرأي وضرر هذه القسمة ، وكونها تكون مثار النزاع والتخاصم والعداوة والبغضاء ، ويجزم أهل العلم والرأي من النصارى أن ضرر هذه القسمة عليهم اشد ، وان السكوت عن كل ما يتعلق بالدين والمذاهب خير لهم وانفع ، ولكن هذا الكاتب الذي كان ينكر ذكر الدين في امور السياسة وشؤون الدنيا ، فكر هذا بما نشره في بعض جرائد مصر وأمريكا ، وتحريض نصارى المهاجرين في أمريكا من الحزب ونهاهم عن مساعدته باسم المسيحية وحقوق المسيحيين وهضم المسلمين لها ، حتى انه كتب في جريدة الهدى الامريكية التي تعنى بنشر ما يكتبه ان صاحب المنار أنكر على مسلمي بيروت اتفاقهم مع نصاراها على جعل نصف أعضاء المجالس المحلية

من المسلمين والنصف الآخر من غيرهم . وهي دعوى غير صحيحة ، فان المنار أنكر من لائحة جمعية بيروت الاصلاحية اكثر ما انتقده المنتقدون والمرائين من الاجانب ولم ينكر مسألة المناصفة في المجالس بل عدها دليلا على اخلاص المسلمين وصدقهم الاتفاق مع النصارى لأنهم تنازلوا لهم عن بعض حقوقهم .

وأما الانتقاد والطعن الذي صوب اليهم فهو ان الترك ارضوهم ببعض المناصب والوظائف ، فظهر أن طلب الاصلاح كان شبكة لصيد المنافع ، و يحتجون على هذا بأن المؤتمر العربي قد قرر ان لا يقبل احد من المنتمين الى لجان الاصلاح العربية اي منصب في الحكومة العثمانية اذا لم تنفذ القرارات التي صادق عليها — الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمي اليها . وخص باشد الانتقاد السيد الزهراوي وعبدي المسلمين والنصارى في جمعية بيروت الاصلاحية ـ محمد افندي بيهم وتحلة بك سرسق اذ قبلوا ان يكونوا أعضاء في مجلس الاعيان ، قبل تنفيذ الاصلاح في البلاد العربية

وهؤلاء الثلاثة ثلاثة اجوبة يردون بها على المطاعن (احدها) ان الحكومة قد شرعت في تنفيذ الاصلاح ولا يعقل أن لا يقبل العرب طلاب الاصلاح منصبا ولا عملا فيها الا بعد تنفيذ الاصلاح بحكم [illegible] ومقاومي الاصلاح من العرب ، كأنها تقول : إنا [illegible] المناصب والوظائف فيها ! (الثاني) ان عضوية الاعيان [illegible] الحكومة ، لان عمل الاعيان كعمل المبعوثين (النواب) : وضع القوانين ومراقبة الحكومة في تنفيذها ، فهو سيطرة على الحكومة لا خدمة لها (الثالث) ان اللجان الاصلاحية التي ينتمي اليها قد وافقت على ان يكونوا في مجلس الاعيان . وأما الذين قبلوا المناصب في غير مجلس الاعيان فيمكن لمن كان منتميا الى بعض لجان الاصلاح ان يجيب بالجواب الاول . وهو جواب ضعيف اذا لم يعززه الثالث .

سواء على حزب اللامركزية اقتنع المنتقدون والطاعنون بهذه الاجوبة أم لم يقتنعوا . فان لجنة الحزب العليا لم تدخل في باب المناصب والوظائف ، وقد دعي رئيسه (رفيق بك العظم) الى الاستانة مرارا قبل ذهاب الزهراوي اليها وبعده ـ وكان ولا يزال مرشحا لمنصب الوزارة — فلم يجب الدعوة ، والسيد الزهراوي ـ وان حضر تأسيس الحزب — لم يجب ان يدخل في لجنته الادارية ولا في الانتخاب لها ، لانه جاء مصر زائرا لامقيما . ولكن مكانته العالية من نفوس لجنة الحزب العليا ومن نفوس سائر طلاب الاصلاح في سورية وغيرها هي التي حملت اللجنة

على اختياره للمؤتمر ، ثم ان حسن سلوكه في المؤتمر ، وثباته بعد اتمام عمله فيه على السعي الى الاصلاح مع الارتباط بالحزب وتقيده بقراراته ، وانقطاعه عن كل عمل لأجله ، على كونه ينفق من مال نفسه - وناهيك بسعة النفقات في أوربة - كل ذلك كان من الاسباب الجديدة لرضاء الحزب بقبوله لمنصب عضوية الاعيان والتوسط لدى الحكومة في الاصلاح ، واما السبب الأول فهو كفاءته الشخصية في صدقه واخلاصه وتاريخه الجيد النقي ، كما أشرنا الى ذلك من قبل .



بقيت المسألة الرابعة ، وهي بيان حالة الحزب الحاضرة . والقول الوجيز فيها ان الحزب - وان لم يسمع له صوت عال من عدة أشهر - قد أصبح أقوى مما كان ، منذ أسس الى الآن ، فقد كثرت فروعه في الولايات وانتظمت ، وقويت الثقة به وثبتت ، وانحصرت آمال طلاب الاصلاح فيه أو كربت ، ويصح ان يقال ان طوره الأول كان طور تمهيد للعمل باعداد الافكار ، ثم بتأليف المجالس وقد انتهى الآن بطور القيام بالأعمال ، وان قيامه بالعمل ، واضطلاعه بالسعي ، هو خير خدمة للدولة قبل الامة ، [illegible] الروية وحسن النية ، فكانت المصلحة [illegible] أو يتغلب عليها الغلاة المتطرفون ، [illegible] الثورة ، وتوزيع منشورات أقلقت الحكومة وعقلاء الامة . وقيل انه يريد ان يبدأ عمله بجمع مؤتمره السنوي وتجديد انتخاب أعضاء اللجنة العليا ، وعرض المشروعات الجديدة للعمل عليها ، ومنها تحويله الى جمعية ، اذ لم تصدق عليه الحكومة . فقد اقترح هذا كثيرون . وعسى ان تكتفيه الحكومة هذا الامر ، فيبادر الى الاصلاح من تلقاء نفسها والله الموفق .

الشيخ علي يوسف



﴿ أخلاقه وسجاياه ﴾ المنار لا يعنى بترجمة أحد ترجمة تاريخية محضة وإنما يعنى من تراجم الناس بيان الاخلاق الحسنة والاعمال النافعة التي تكون مثلا حسنا ، وقدوة صالحة ، لأن غاية المنار اصلاحية فهو يعنى بكل ما يتوسل به

الى الاصلاح ، ويرغب الناس في الفضائل ومحاسن الاعمال ، واننا ذكرنا مايقابل ذلك فانما نذكره لان العبرة لاتتم الا به ، ولا يجمل ذكر المساوي هو الاصل في الموعظة ، وقد كان ماذكرناه من ترجمة هذا الرجل دائراً على هذا القطب ، وأحببنا أن نختمها بهذه الكلمات التي تذكر الناسي وتنبه الغافل لما هو المقصود بالذات .

فنقول أن هذا الرجل نبه بعد خمول ، وارتفع بهمته وأخلاقه الى الطبقة العليا في أمته ، فصار من بطانة أمير البلاد وأهل ثقته . وصاحب التأثير الاول في أفكار المصريين ، والرأي المحترم في جميع الاقطار الاسلامية ، وكم من متعلم نال الدرجات العلى في العلوم والفنون العربية والافرنجية يتمنى أن يصل الى ماوصل اليه الشيخ علي يوسف بما دون درجات علمه وهو لايستطيع الى ذلك سبيلا ، لان من أبعاض سجاياه وأخلاقه لاتسرع به علومه وفنونه ، فأحب أن نذكرنا أن الرجل قد ارتقى بالعزيمة، وقوة الارادة والصبر والثبات وعلو الهمة، والاخلاص [illegible] ، فمن استطاع ان يتخلق بهذه الاخلاق ، فليقصد بها ماشاء من مراتب الكمال ، ومقامات الرجال . [illegible] الوقوع في مثل الخطأ الذي ارتكبه هذا [illegible]) وهو محاولة استغلال الثروة الواسعة التي تليق بمقامهم الاجتماعي بسلوك الطرق التي ربما تؤدي الى ضد مرادهم ، والشيخ رحمه الله عصمته تربيته الدينية ان يفتتن بما افتتن به كثير من كبرائنا المتفرنجين من المقامرة ، وانما تورط في شراء الدور والقصور وعرصات الارض المعدة للبناء في تلك المدة التي خرج فيها التغالي بالاثمان عن الحد الطبيعي الذي وصلت اليه درجة العمران في البلاد . ولما عادت (سنة رد الفعل) باثمان المباني وعرصاتها الى مادون الثمن المعتدل لها ، بعد ذلك الافراط فيها ، غرق الرجل مع من غرق في طوفانها ، ولولا ذلك لما قصرت ثروته بما يليق بمقامه الاجتماعي ، على ما كان من تقصيره في ادارة المؤيد المالية . وما ذكرنا هذا على كونه معروفا مشهورا الا ليكمل الاعتبار بسيرة فقيدنا النافعة طردا وعكسا ، ونسأل الله تعالى ان يتغمده برحمته ، بمنه وفضله وكرمه .

(تنبيه) وقع في السطر ٢٢ من ص١٦٨ من هذا الجزء كلمة سب خطأ وصوابها (سبب)

ملحق

﴿ لمجلة المنار الاسلامي في مصر ﴾



(٢)

السفر الجميل في ابناء الخليل

(لأحمد افندي ترجمان)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

في اسمعيل ثم في اسحق ثم دخول المسلمين الى الشام وفوائد (في اسمعيل) في التكوين بحسب الاصل العبراني ١٦ : ١٢ آدم برى ، يده في الكل ويد الكل فيه وامام جميع اخوته يسكن . وقال قبله لأم اسمعيل : لان الرب سمع لمذلتك . وكلمة « برى » مثلها بالمضارع في نبوة هوشع ١٣ : ١٥ يثمر كما في قاموس الاسرائيلية والمراد بقوله « يده في الكل ويد الكل فيه » النبي (عم) لانه من اسمعيل ، وقوله « امام جميع اخوته يسكن » فمحل نزول اسمعيل وسكنه ومعه أولاده وبيان أسمائهم في التكوين ٢٥ : ١٢ وهذه أسماء بني اسمعيل ـ نبايوت بكر اسمعيل وقيدار . الى آخره اثنا عشر ـ ١٨ وسكنوا من حويلة الى شور الى قوله « امام جميع اخوته نزل » اي اسمعيل . وحويلة الثاني عشر من بني يقطان تكوين ١٠ : ٢٩ ويقطان بن عابر تكوين باب ١٠ وابراهيم ابو اسمعيل من عابر تكوين باب ١١ وفي تاريخ سوريا للمطران يوسف الدبس مجلد أول في تكوين [illegible] يقطان [illegible] حويلة الثاني عشر لان أبناء يقطان استوطنت ذريته في بلاد خولان شمال اليمن على تخوم الحجاز حيث امتدت بعد ذلك ذرية اسمعيل كما جاء في التكوين فصل ٢٥ عدد ١٨ » اه أما فاران ففي كتاب تحفة الاريب قال « فاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا الارض فكان الحجاز وتخومه لفاران » وقال ياقوت « فاران جبال الحجاز . وفاران قرية من نواحي صغد من أعمال سمرقند ، وفاران والطور كورتان من كور مصر القبلية »

ولما هاجر النبي (عم) من مكة ونزل المدينة وأهلها الاوس والخزرج وأصلهم من بني يقطان أسلموا وأيضاً أسلم بنو يقطان الذين هم في اليمن وغيرهم . ولما قام المسلمون للفتح ـ بنو عدنان من بني اسمعيل وبنو يقطان وغيرهم ـ قومة واحدة انتصروا على الفرس والرومان واخذوا البلاد ، وفي تاريخ التمدن الاسلامي لجورجي بك زيدان صاحب الهلال بمصر قال : كان اليهود بالشام يدلون العرب على عورات المدن ضد الروم ويدخلونهم اليها فصارت يد بني عابر يداً واحدة . وقوله في اسمعيل في التكوين ١٦ : ١٢ يده في الكل ويد الكل فيه . قلنا ان المراد به النبي

(ع م) لانه من اسمعيل . وبيانه في نبوة اشعيا ٤١ :٢ بحسب العبراني (من أنهض من المشرق الصدق يدعوه لقدمه وفي عدد ٢٥ منه قد انهضته من الشمال فاتى من مشرق الشمس يدعو باسمي) فاولا قام النبي من مكة ديار بني اسمعيل الى المدينة مهاجرا ثم قام من المدينة المنورة الى مكة فاتحا ودخلها من اعلاها شرقا ، والمدينة شمال مكة ومكة شمال حوية وحوية (خولان) شمال اليمن على تخوم الحجاز كما سبق البيان -

وفي نبوة اشعيا ٤٢ : ١ هوذا عبدي الذي اعضده مختاري - ثم قال في عدد ٦ منه - فامسك يدك والعبراني «وامسكت يدك» وترجمة الكاثوليك واخذت يدك أي امسكت يدك يانا لما في التكوين في اسمعيل ١٦ : ١٢ « يده في الكل » ثم بعد قوله وامسكت يدك في نبوة اشعيا باب ٤٢ ذكر في عدد ١١ ذكر ديار قيدار وتمجيدهم الرب من رؤس الجبال اشارة للحج الاسلامي وفي عدد ١٢ خروج الرب كرجل حروب) كناية عن اعانة الرب وعنايته المسلمين في جهادهم وتأييدهم من الرب . وقيدار ابن اسمعيل تكون ٢٥ :١٣) (تنبيه اول) [illegible] خروج اسمعيل الى الحجاز بحث لان وقت فطام اسحق كان [illegible] اسمعيل ١٧ سنة كما في شرح الاسرائيلية القرايين . فكيف يقال في اسمعيل [illegible] كان مع امه [illegible] الولد [illegible] احملي الغلام ؟ ومنه قدر من يوسف [illegible] يعقوب لما كان يرعى (١٧ سنة) كما في التكوين ٣٧ : ٢ فالاسرائيلية اختصروا في القصة [illegible] الارتياب وسننشر كتابا انشاء الله تعالى وتكملي من التاريخ والكتاب (تنبيه ثان) بعد ولادة اسمعيل لابراهيم من هاجر بحسب العبراني قال الرب لابراهيم (يكون اسمك ابراهيم لاني جعلتك ابا لجمهور امم) اشارة الى نسل اسمعيل ولنسل اسحق الذي سيأتي قال الرب له (واجعلك اثما) وامره بالختان وجعله عهدا ابديا وعاهده أيضا على اعطائه ارض كنعان بالشام ، ثم بشره إنه سيعطيه ابنا ايضا من سارة فقال ابراهيم في قلبه : هل يولد لابن مئة سنة ؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة ؟ وقال ابراهيم لله : ليت اسمعيل يعيش امامك ، فقال الله له : حقا سارة تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق واقيم عهدي معه لنسله من بعده ، أما اسمعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا باركه وأثمره وأكثره - الى قوله - وعهدي أقيم مع اسحق) كل ذلك في التكوين باب ١٧ وترجمة النصارى هنا خلاف العبراني الذي اعترفوا بالنقل عنه (والاصل ماذكرنا) وفي شرح الاسرائيلية الربانيين العهد لاسحق الختان وبنو اسمعيل مع اسحق امة لان اسمعيل ختان قبل ميلاد اسحق ، وأيضاً العهد لاسحق بأرض كنعان بالشام كما في سفر الخروج ٦ :٣ ومزمور ١٠٥ :٩ الذي عاهد به ابراهيم

وقسمه لاسحق ١٠ ثبته ليعقوب الى قوله قائلا أعطي لك أرض كنعان) فجعل الرب لبني اسمعيل اليد في الكل وجعل لبني اسحق أرض كنعان بالشام (ملحق) ان الله تعالى بارك اسمعيل لاجل ابراهيم كما في التكوين باب١٧ وبارك اسحق أيضاً لاجل ابراهيم كما في التكوين باب١٦ وفي نبوة أشعيا من قول الرب ٤١ : ٨ ـ ابراهيم خليلي) فالكل لاجل ابراهيم، وسمع الرب ذل هاجر فجعل اسمعيل ابنها يده في الكل، تكوين ١٦ : ١٢ والله سبحانه وتعالى لايخلف وعده وهو على كل قدير اه وفي سفر أيوب ٢٢ : ٢١ تعرف به وأسلم) أي تعرف بالرب وأسلم له، والعبراني « وشلام » وأيوب كان قبل موسى كما في حاشية الكاوليك وقبل ابراهيم كما في مرشد الطالبين البروتستان فالأصل « الاسلام » اه

(في اسحق) بركة الرب لاسحق في الارض المقدسة كما في التكوين باب٢٦ تنقل من بعده الى يعقوب ثم الى داود ثم الى المسيح في أخوته . وبيانه في دعاء اسحق ليعقوب بالوحي الالهي كما في التكوين ٢٧ : ٢٨ فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الارض وكثرة حنطة ونبيذ ٢٩ ليستعبد لك شعوب ولتسجد لك قبائل . كن سيدا لاخوتك وليسجد لك بنو أمك لاعنك ملعون ومباركك مبارك) فقول اسحق ليعقوب يستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل . هذا لم يوجد في ايام الشام لان يعقوب لم يخضع له شعوب بل لداود الذي هو من يعقوب ومملكته في بلاد الشام وبيانه من قول داود في مزمور ١٨ : ٤٧ الاله المنتقم لي والذي يخضع الشعوب تحتي . والعبراني (يخضع شعوب تحتي) ثم قول اسحق ليعقوب : كن سيدا لاخوتك وليسجد لك بنو أمك لاعنك ملعون ومباركك مبارك) وهذا المراد به المسيح لانه من داود وداود من يعقوب فهو نسل يعقوب ايضا وفي نبوة اشعيا خطابا لشعب اسرائيل ٥١ : ٢ انظروا الى ابراهيم ابيكم والى سارة التي ولدتكم لأني دعوته وهو واحد وباركته واكثرته) فالمسيح في مجيئه الثاني يكون كبيرا لاخوته بني اسمعيل من ابيه ابراهيم ويخضع له بنو امه وهم بنو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم من سارة . والسجود يعني الخضوع والخضوع يسبقه العناد ابتداء والخضوع انتهاء . وفي شرح الاسرائلية الربانيين في قول اسحق ليعقوب (كن سيدا لاخوتك) قالوا كبير على بني اسمعيل وبني قطورا يعني من ابراهيم وفي قوله (وليسجد لك بنو امك) قالوا بنو يعقوب اه لان يعقوب بن اسحق بن ابراهيم من زوجته سارة ، ولا يقال في قول اسحق ليعقوب (كن سيدا لاخوتك وليسجد لك بنو امك) المراد به داود ايضا لان داود لم يكن

ونبيا على بني اسمعيل وفي نبوة اشعيا في المسيح باب ٤٩ بحسب العبراني انه سمى للمسيح نبيا اسرائيل واسرائيل هو يعقوب، ونبيا ان للمسيح مجيئين: الاول لم يقبل اليهود منه، ومجيئه الثاني يكون في وقت رضاه وبجمعهم ويقيم الارض، وهي بيان لقول اسحق في امر المسيح مع بني اسرائيل بني امه ساره جدة يعقوب، وقول اسحق ليعقوب بعد قوله له كن سيدا لاخوانك وليسجد لك بنو امك . والمراد المسيح كما توضح . قال لاعنك ملعون ومباركك مبارك) فلاعن المسيح ملعون ومباركه مبارك حسب قول اسحق، فلا يتأتى للنصارى اذا كانوا تابعين للمسيح . كما يقولون . ان يسموا المسيح لعنة كما في رسالة بولس الى اهل غلاطية ٣ : ١٣ او يسموا المسيح ملعونا كما في مرشد الطالبين البروتستان صحيفة ٤٤٢ طبعة سادسة سنة ١٩٠٩ لان لاعن المسيح ملعون ومباركه مبارك حسب قول اسحق . وكيف يسمون المسيح ملعونا ولاعنه ملعون ؟ وسيدنا اسحق من الانبياء العظام والمسيح مؤيد لنبوات الانبياء والناموس اي الشريعة كما في انجيل متى = [illegible] اسمعيل اخوة المسيح لابيه ابراهيم على هدى ونور من ربهم لايمانهم بالرب وبأنبيائه واعترافهم بالمسيح (ع م) بانه من الانبياء العظام [illegible] (ع م) في الحديث (١) الشريف الصحيح [illegible] المسيح في [illegible] لهم [illegible] تقدموا في قول اسحق ليعقوب والمراد [illegible] لاخوتك اي اكبرا لهم . واما بنو اسرائيل وانكارهم المسيح وهم بنو امه سارة جدة يعقوب والدة ابيه وصفهم اسحق بقوله (وليسجد لك بنو امك) اشارة لخضوعهم اليه انتهاء ويلزم من الخضوع المعاد ابتداء ثم الخضوع انتهاء، ثم قول اسحق (لاعنك ملعون ومباركك مبارك) فقوله مباركك مبارك يراد به بنو اسماعيل ومن معهم من المسلمين لانهم يباركون المسيح كما في القرآن الشريف يحكي قول المسيح عن الرب (وجعلني مباركا اينما كنت) ولا

---

(١) قوله في الحديث الشريف أما ماورد في القرآن الشريف في قوله تعالى للمسيح (اني متوفيك ورافعك) الآية المراد بالتوفي النوم ومنه قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) فحل النوع وفاة وكان سيدنا عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية (متيك ورافعك) اه من الخازن وفي الزمور ٣٢ خطاب المسيح عدد ٢٤ (انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الارض، ومثله مزمور ٩١، وفي القرآن الشريف أيضا في المسيح (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أي قبل موت المسيح لان سياق الكلام فيه وهذا في مجيئه الثاني وحكمه حين ترجع اليهود الى الله تعالى وتؤمن بالمسيح ثم ينتقل الى كرامة الله تعالى ، ومجيئه في آخر الزمان كما في قوله تعالى في المسيح (وانه لعلم للساعة) أي نزوله قرب الساعة ، ومثله في نبوة هوشع ٣ : ٥ في آخر الايام

يقولون في المسيح انه لعنة او ملعون بل ينكرون ذلك اشد الانكار والهداية من الله تعالى وبناء على ما توضح فالمسلمون على هدى ونور من ربهم والمسيح مع اسحق وبقية الانبياء مؤيداً لهم كما في انجيل متى ٥ : ١٧ (تنبيه) في الامثال ٨ : ٣٠ كنت عند صانعا والعبراني مربيا (ملخص) من نبوات الانبياء بالوحي الالهي المؤيدة لقول اسحق في امر المسيح مع بني اسرائيل في قول اسحق وليسجد لك بنو امك

(الاول) من نبوة اشعيا في المسيح باب ٤٩ باقالهم مضمونها ان المسيح يرسله الرب الى بني اسرائيل بان يرجعوا الى الرب فلم يقبلوا منه فيخبئه الرب في كنانته كناية عن حفظه ، وقال له (انت عبدي اسرائيل الذي به اتمجد) واسرائيل هو يعقوب اشارة لقول اسحق ليعقوب والمراد المسيح (وليسجد لك بنو امك) والخضوع يلزم منه المناد ابتداء ثم الخضوع اليه انتهاء. وفي نبوة اشعيا هذه مجيئه الاول يكون في وقت دولة اليهود بفلسطين وتسلط الكهنة على الشعب كما في عدد ٧ منها (هكذا قال الرب لمحتقر النفس لمكروه الامة لعبد المتسلطين) وقد انتهت دولتهم وتشتتوا فمن مجيئه الاول، ولمجيئه الثاني قال (ينظر ملوك فيقومون رؤساء فيسجدون) أي لما ينتظرونه يقومون اجلالا له ويتعظمونه للرب في وقت رضاه فيبقيه في خلاصهم من الامم ويقيم الارض الى بهم وهذا لم يتم في مجيئه الثاني فالمسيحيون ترجموا عدد ٦ من باب ٤٩ من نبوة اشعيا خلافا لما في الاصل والاصل العبراني وهو اصل النبوة يحكي قول المسيح عن الرب قال (''سهل'' او '' يسير '' ان تكون لي عبدا لتقيم اسباط يعقوب ورد محصوري اسرائيل واجعلك نورا لامم لتكون خلاصي الى اقصى الارض) فقالوا بدل ذلك قال (قليل ان تكون لي عبدا لتقيم — او لاقامة — اسباط يعقوب ورد محفوظي اسرائيل فقد جعلتك نورا للامم لتكون خلاصي الى اقصى الارض) بناء على قول بولس كما في اعمال الرسل ١٣ : ٤٧ — قد اقمتك نورا للامم لتكون انت خلاصا الى اقصى الارض) وقصدهم جعل الامم بدل بني اسرائيل وهذا خلاف الاصل وتحريف للنبوة عن اصلها وموضوعها كأن الرب الذي ارسل المسيح (ع م) لم يعرف ما يستحقه للمسيح من الوظيفة وقد فاتهم ما ذكر في عدد ٨ منه في وقت رضاه أجبتك وفي يوم خلاص اعنتك وحفظتك . الى قوله . لتقيم الارض أي الشعب في الارض ومعنى نورا لامم اي موصيا في مجيئه الثاني كما في نبوة اشعيا ٥٥ : ٤ (هوذا جعلته شارعا) والعبراني شاهدا للشعوب رئيسا وموصيا) وفي الامثال ٦ : ٢٣ (لان الوصية مصباح) اي نور يعني يوصي بتوحيد الرب واطاعته واما مجيئه الاول كان

رسولا كما في نبوة اشعيا ٤٩ : ٥ جابلي من البطن عبدا له لارجاع يعقوب ، أي بني يعقوب اهـ ولا عبرة بقول النصارى « رمزي وحرفي » لان التحريف متنوع كما في نبوة ارميا ٢٣ : ٣٦ — كلمة كل انسان تكون وحيه اذ قد حرفتم كلام الاله الحي — (الثاني) من نبوة ميخا ٥ : ٢ — انت يا بيت لحم — يخرج لي الذي يكون حاكما على اسرائيل ومخارجه منذ القدم منذ ايام الازل ، اي مخارجه في مجيئه الاول منذ (١) القدم بالنسبة لمجيئه الثاني وحكمه الذي ابتدأ النبوة فيه ولذلك قال : لذلك يسلمهم الى حين تلد الوالدة) اي يتركهم الضيق مثل الوالدة لما تلد وهذا في مجيئه الاول لتأدهم ثم في مجيئه الثاني بدئه بقوله (ثم ترجع بقية اخوته الى بني اسرائيل ٤ ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب إلهه ويسكنون لانه الآن يتعاظم الى اقاصي الارض ٥ ويكون هذا سلاما .) اي ترجع بقية اخوته الذين في الخارج على الموجودين بالشام ويرعاهم جميعا بقدرة الرب ويسكنون ويكون سلام لان تعاظمه الى اقاصي الأرض يسهل رجوع الذين في الخارج الى الارض المقدسة بالشام ، وهذا معنى ما في نبوة اشعيا ٤٩ : ٦ لتكون خلاصي الى اقصى الارض ، اي لخلاص بني اسرائيل (الثالث) من نبوة هوشع ٣ : ٤ لان بني اسرائيل سيقعدون اياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس — الى قوله — وبعد ذلك يعود بنو اسرائيل ويطلبون الرب إلههم والى داود ملكهم — الى قوله في آخر الايام) والمراد بداود ملكهم المسيح لانه من داود وداود من يعقوب . المعنى ان بني اسرائيل يقعدون اياما كثيرة حيارى بلا رئيس وبعد ذلك يرجعون عن العناد ويطلبون الرب إلههم ويرجعون الى داود ملكهم ويلزم من رجوعهم اليه عنادهم ابتداء معه فالنصارى تركوا « الى » في قوله الى داود ملكهم فقالوا وداود ملكهم تحريفا بالنقصان اهـ

(ملحق) نقول لاهل الكتاب لا تستغربوا أن للمسيح مجيئين حسب نص نبوات الانبياء المقدسة عندكم والله على كل شيء قدير بأن يحفظ المسيح من الاعداء ويأتي به حسب ما تقتضيه حكمته ، ومثل ذلك ايليا رفعه الله الى السماء كما في ملوك ثاني ٢ : ١١ — فصعد ايليا في العاصفة الى السماء) وفي نبوة ملاخي من قول الرب ٤ : ٥ (هاأنذا أرسل اليكم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف) العبراني هنا « الياهو » وفي حاشية الكاثوليك على نبوة ملاخي قال التقليد الراهن والمتفق

---

(١) منذ القدم يطلق على الزمن الماضي القديم عدم وللازل كما في مزمور ٤٤ : ١ — في أيامهم في أيام القدم . وفي نبوة أشعيا ٦٤ : ٤ ومنذ الازل لم يسمعوا)

عليه عند عموم اليهود والمسيحيين ان ايليا التي يجيء بشخصه في منتهى العالم لمقاومة الدجال وقد صرح بذلك السيد المسيح نفسه (مت ١٧: ١١ ومرقس ١٩ : ١) اه وقولهم « في منتهى العالم » نص النبوة قبل مجيء « يوم الرب » وفي شرح الاسرائيلية الربانيين قال : قبل مجيء اليوم العظيم اه فاذا كنتم يا أهل الكتاب مصدقين بكتابكم يلزم أن تصدقوا بجميعه خصوصاً نبوات الانبياء لا ان تصدقوا البعض وتنكروا البعض الآخر (تنبيهات) (الاول) في ترجمة المسيحيين لداود مزمور ٢٢ : ١٦ (ثقبوا يدي ورجلي) الاصل العبراني كاسد يدي ورجلي وفي حاشية كتاب البروتستانت أو كاسد. فقد اعترفوا . وقول داود في مزمور ٢٢: ١٦ (كأسد يدي ورجلي) بناء على قول يعقوب في يهوذا ابنه كما في التكوين ٤٩: ٩ يهوذا شبل أسد الى قوله كأسد) والمراد بيهوذا داود لانه من يهوذا وسلطنته بالشام (الثاني) في نبوة أشعيا باب ٥٣ عدد ٨ . انه ضرب من أجل ذنب شعبي) والاصل العبراني « لهم ضربة » يعني الشعب ولفظها العبراني « لامو » فتركوا « لهم » وقالوا ضرب ، وفي عدد ١٠ منه [illegible] نفسه ذبيحة اثم . كلمة ذبيحة زادوها . والاصل العبراني [illegible] نفسه آثامه وفهم قوله بعدها « يرى نسلا » والمراد الشعب لا المسيح وفي عدد [illegible] والمراد الشعب وبيانه في مراثي التي أرميا ٣: ٧ [illegible]) فراثي أرميا هي بيان لنبوة أشعيا باب ٥٣ [illegible] كما في كتبهم انهم يترجمون من الاصل العبراني وهنا خالفوا ونسبوه للاصل العبراني (الثالث) نبوة زكريا باب ١٢ وباب ١٣ تمت في يهوذا وأخيه يوناثان من المكابين من يتحرون عباراتهم في سفر المكابين الاول وهو من الاسفار القانونية عند الكاثوليك والا وتدكس والبروتستانت تعتبره تاريخا لليهود (الرابع) في نبوة أشعيا ٧: ١٤ . ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل) الاصل العبراني الفتاة حبلى والكلمة العبرانية مثلها حرفيا في هاجر لما كانت حاملة باسمعيل كما في التكوين ١٦: ١١ . ها أنت (حبلى) وفي قاموس البروتستانت للكتاب (عمانوئيل) اسم ولد في أيام أشعيا الخ (الخامس) في نبوة أشعيا ٩: ٦ لانه يولد لنا ولد ونعطى ابناً الى قوله مشيرا إلهاً الخ وترجمة الكاثوليك لانه قد ولد لنا ولد أعطي لنا ابن الى قوله مشيرا إلهاً الخ مثل العبراني في شرح الاسرائيلية الربانيين هو حزقيا أي ملك يهوذا اه ويطلق عند الاسرائيلية على القضاة والرؤساء آلهة كما في سفر الخروج في العبد الذي يعتق ٢١: ٦ يقدمه سيده الى الله والعبراني لى الآلهة . وترجمة الكاثوليك يقدمه مولاه الى الآلهة) وفي حاشيتهم أي القضاة

وفي سفر الخروج ٧ : ١ فقال الرب لموسى ـ أنا جعلتك إلهاً لفرعون ، والعبراني جعلتك آلهة لفرعون) فيطلق الجمع ويراد به المفرد من باب التعظيم ، ومثله في صموئيل أول ٢٨ : ١٣ (السادس) في انجيل يوحنا من قول المسيح لليهود ٧ : ٣٤ ستطلبونني ولا تجدونني ـ) وفي انجيل يوحنا ١٢ : ٣٤ ـ نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى الى الابد ـ ٣٥ فقال لهم يسوع النور معكم ـ فسيروا مادام لكم النور ـ) والناموس نور كما في مزمور ١٩ : ٧ ناموس الرب كامل الى قوله ينير العينين ، ومثله في مزمور ١١٩ : ١٠٥ سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي) والمسيح مؤيد للناموس والانبياء كما في انجيل متى ٥ : ١٧

(فصل في ميلاد المسيح) من قول يعقوب بالوحي في يهوذا ابنه كما في التكوين ٤٩ : ١٠ لايزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه الخ معنى المشترع معطي الشريعة ومحققها فالمراد بيهوذا داود لانه من يهوذا وسلطنته بالشام والمشترع من بين رجليه أي مبين الشريعة وهو المسيح لانه ولد من أتى من اسل داود من بين رجليها ، والكلمة مثلها في التثنية ٢٨ : ٥٧ بمشيمتها الخارجة من بين رجليها ، كما في القاموس العبراني ، والمشيمة غشاء المولود ، ومثله في نبوة أرميا ٣١ : ٢٢ لان الرب قد خلق شيئاً حديثاً في الارض أنثى تحيط برجل ٢٣ هكذا قال رب الجنود ـ سيقولون بعد هذه الكلمة في أرض يهوذا وفي مدنها عندما أرد سبيهم يباركك الرب يامسكن البر يا أيها الجبل المقدس ٢٤ فيسكن فيه « والعبراني « يسكن » فيه يهوذا وكل مدنه معاً) أي عند مايرد الرب سبيهم ويسكنون يولد المسيح من غير أب بخلق الله تعالى لذلك ـ كما توضح ـ فكما خلق الرب حواء من آدم من ضلع من أضلاعه كما في التكوين ٢ : ٢١ و ٢٢ و ٢٣ خلق المسيح من أمه كما توضح من قول يعقوب ونبوة أرمياء وقول الاسرائيلية في شروحهم على نبوة أرميا هذه (ان المراد بالانثى أورشليم أو الارض ، والرجل الشعب ، لم يذكر في الكتاب أنثى ويراد بها أورشليم أو الارض وانما ورد انثى ويراد بها أمنا حواء كما في التكوين ١ : ٢٧ ـ ذكراً وأنثى خلقهم) أي آدم وحواء وأم المسيح مثل أمها حواء وانما اليهود أخفوا نبوة أرميا هذه عن النصارى وأبدلوها بشكل آخر وترجموا في السبعينية اليونانية بما يأتي وجعلوا باب ٣١ عبرانية لنبوة أرميا باب ٣٨ سبعينية وقالوا في السبعينية بدل قوله خلق الرب شيئاً جديداً في الارض أنثى تحيط برجل الخ قالوا الرب خلق خلاصاً لغرس جديد ان الناس سيدورون في الخلاص لانه هكذا يقول الرب الخ والترجمة السبعينية موجودة ومطبوعة باليوناني وبالانكليزي

من اليوناني (ثليه) في الترجمة السبعينية التي كان عليها النصارى أولاً ثم من بعد أزمنة قالوا ترجمنا العهد القديم من الأصل العبراني كما في كتبهم وقالوا كتاب الاناجيل أخذوا من السبعينية أنظر الجزء الثالث من كتاب الكاثوليك ومرشد الطالبين البروتستان وفي كتاب ذخيرة الالباب في بيان الكتاب للكاثوليك طبع بيروت قال في الترجمة السبعينية لم يترجم فيها الا الاسفار الخمسة الاولى أما بقية العهد العتيق فقد ترجم في أعصار مختلفة، ثم ذكر ان الترجمة السبعينية دخلها أغلاط الى أن قال ان ايرنيموس الذي كان يعرف العبرانية ترجم العهد العتيق من العبرانية وايرنيموس الذي تعلم العبرانية كان في أواخر القرن الرابع، وفي مرشد الطالبين للبروتستان ان ايرنيموس ترجم في أوائل القرن الخامس، والتوراة عند اليهود تطلق على الاسفار الخمسة الاولى وبقية العهد القديم وان كان عندهم مقدساً لا يطلقون عليه توراة، والنصارى يطلقون التوراة على كل العهد القديم (في الاناجيل) في قاموس الكتاب البروتستان قال في الاناجيل أنها كانت مستعملة في الكنائس قبل سنة ٢٠٠ [illegible] وربما قبل سنة ١٥٠ أي بعد الميلاد فقوله « ربما » شك منهم وفي مقتطف مارس سنة ١٩١٢ تقريظ رسالة في الاناجيل للاب انطون [illegible] قال [illegible] الادلة التاريخية التي أوردها يرتقي بعضها الى أواسط القرن الثاني وكلها [illegible] أواخر القرن الثالث اه والحواريون ماتوا قبل أواسط القرن الثاني أي قبل سنة [illegible] فمثل ذلك الاناجيل ليست من تصنيف الحواريين أتباع المسيح وانما هي روايات فيها وفيها، فالذي يوافق منها نبوات الانبياء حرفيا في الموضوع بدون زيادة أو نقصان أو تغيير حسب الاصل العبراني الذي اعتمدوه أخيرا يصح قبوله لان المسيح مع الانبياء اه

(فصل في دخول المسلمين الى الشام) النصوص كثيرة انما نذكر منها ما يأتي في نبوة حجي بحسب العبراني من قول الرب ٢: ٦ ـ بعد قليل فازلزل السموات والارض ـ ٧ وازلزل كل الامم ويأتون احسن كل الامم او افخر كل الامم فاملأ هذا البيت مجداً ٩ ـ وفي هذا المكان اعطي السلام ـ) فقد أتت أمة الاسلام وهي احسن كل الامم لانها على التوحيد وتعظيم الرب والايمان بانبيائه واحترامهم، واعطت السلام والامان وبنت بيت الرب في المدينة المقدسة بعد ما كان البيت خرابا وامتلأ البيت مجداً لعبادة الرب فيه ، أما ترجمة النصارى هنا في قولها « و يأتي مشتهى كل الامم » خلاف الاصل العبراني والعبراني بالجمع « ويأتون » وفي عدد ٢٠ منه وصارت كلمة الرب ثانية ـ كلم زربابل والي يهوذا قائلا « اني ازلزل السموات والارض ٢٢

وأقلب كرسي الممالك١٣ – في ذلك اليوم – آخذك يازربابل عبدي – وأجعلك كخاتم) والمراد به المسيح في مجيئه الثاني وحكمه لانه من زربابل، والخاتم الذي يوضع في اليد كناية عن السلطة أنظر نبوة أرميا ٢٢: ٢٤

في نبوة دنيال باب ٩ مضمونه مقضي على الشعب سبعين (١) اسبوعا وبعدها البر الابدي وقال في شرح الاسرائيلية وحاشية الكاثوليك كل اسبوع بسبع سنين تكون المدة ٤٩٠ سنة تحسب المدة من حرب الرومان اليهود سنة ١٣٢ بعد الميلاد وبهذه الحرب تشتتوا وآخر المدة سنة ٦١٢ ميلادية وفيها هاجر النبي (ص) الى المدينة وصار رئيسا عليها وبعد ١٤ سنة دخل المسلمون الشام، فالاربعة عشر السنة في نظير اخذ دولة فارس الشام من الروم ١٤ سنة من سنة ٦١٤ لغاية سنة ٦٢٨ ثم دخل المسلمون المدينة المقدسة سنة ٦٣٦ كما في تواريخ المسيحيين وفي نبوة دانيال باب ٧ رأى في الرؤيا أربع حيوانات وأوحي اليه انها اربع دول تقوم على الارض اي الارض المقدسة وبعدهم تكون الارض للقديسين الى الابد، وقد اعترف اهل الكتاب ان الدول الاربع الكلدان والفرس واليونان والرومان اه فقد انتهوا وحل المسلمون الارض المقدسة وهم فيها للآن وبمنه تعالى الى الابد، ومثله في نبوة زكريا ١ : ١٨ وآخر [illegible] أربعة قرون [illegible] في ارض [illegible] الارض المقدسة وانتهى امرهم، وفي انجيل يوحنا من قول المسيح ١٦: ١٣ [illegible] روح الحق فهو يرشدكم – لانه لايتكلم من نفسه بل يتكلم بما يسمع [illegible] ١٤: ١٢ [illegible] بالجدل) فالذي يسمع يكون له صفة السمع والصفة تقوم بذات ولا تقوم بصفة، وروح الحق انسان كما في رسالة يوحنا الاولى ٤: ١ ايها الاحبة لا تصدقوا كل روح – كل روح يعترف يسوع المسيح – فهو من الله٣ وكل روح لا يعترف يسوع – فليس من الله ٦ – من هذا نعرف روح الحق –) والنبي (ص) يؤمن بالمسيح ويعظمه ويتكلم بما يوحى اليه) (يا اخت هرون) في الحديث الشريف كانوا يسمون بأسماء انبيائهم والصالحين قبلهم اه من ابن كثير وقد سمي المسيح داوداً كما في نبوة حزقيال ٣٧: ٢٤ « فصل » المسيح كان على التوحيد كما في انجيل يوحنا من قول المسيح يخاطب الرب ١٧ :٣ وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته، وترجمة الكاثوليك والذي ارسلته يسوع المسيح – أي يعرفون ان الاله الحقيقي واحد والذي أرسله هو المسيح مثل قول اشهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله

(١) قوله سبعين أسبوعاً سبق بيان هذه النبوة تفصيلا في كتاب البرهان الصريح في بشائر النبي والمسيح وفي الكتاب أسبوع سنين وأسبوع سنة وبينا الاشتباه الخ وأطلق على ابراهيم واسحق مسحاء كما في مزمور ١٠٥ : ١٥ (تنبيه) سامرة العبراني شمرون موضعين منها في سفر يشوع ١٢ : ٢٠ شمرون بل سامرة جملة بلاد